

رواية

# ميكروب العائث من مدينة الموت



جَنكو تَمو

دار التقدّم 2024



ميكروب  
العاثا من مدينة المونج



# ميكروب

العائث من مدينة الموتى

جنكو تَمُو

دار التّقدم

1445 هـ - 2024 م



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب

أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات

أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال من دون إذن خطي من

المؤلف

القامشلي - سورية

هاتف: ٠٠٩٦٣٥٢٤٤٠٢٨١

جوال: ٠٠٩٦٣٩٣٦٦٦٤٧٧٢

طُبِعَ فِي

دار التّقدّم

«لا تستهنُ برَجَلٍ يملكُ الطموحَ  
والشغفَ، إِنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَتَحَدَّى  
الْجِبَالَ».

جَنَكُونُو





# الإهداء

إلى من يشجعني على الكتابة دائماً

أبي

إلى ابني الغالي

كومار

إلى ابنة أخي الصغيرة

لانا

جنكو تمو



-1-

اتّصلَ بمركز طوارئ القامشلي سائقٌ بدينٌ يقود سيارَةَ  
شحنٍ مغلقة في ليلٍ بهيمٍ وببطءٍ شديدٍ، على الطريق الدولي  
(إم فور)، وأكّد في اتصالٍ له مع السلطات المحلية أنه رأى  
حجراً ضخماً أسود اللون يسقطُ بالقرب من الطريق العام (إم  
فور).

فهرعتُ، على الفور إلى مكان السقوط، قوةً مؤلّفة من  
رجال الشرطة، وعلماء الجيولوجيا والآثار، مع فريق من  
العمال مصطحبين معهم رافعة ضخمة، وجرافة من الوزن  
الثقل، وسيارة شحن طويلة، كي تشرع الطواقم في البدء  
بالعمل المطلوب فور وصولها إلى هناك، مُتمنيةً نقل الحجر  
السماوي الأسود إلى متحف الآثار بمدينة القامشلي بغرض  
الدراسة والتحليل، بالنهاية كانت النتيجة عند الوصول غير  
مُرضية، وكانت مُخيبة لآمال الجميع بلا استثناء، فأعلن

الضابط المغرور، وبفمِ مليءٍ بالسخرية الانسحاب الكامل من  
المكان، وقال لطاقمه:

\_ سنَدعي أن البلاغَ جاء من كاذِبٍ مجهول.

ثم غادروا جميعاً ذلك المكان خائبين، ولم يجدوا شيئاً.

أنا (ميكروب صالح ويكي)، يشيرون إليّ بالبنان، ويقولون: هذا هو (ميكروب) العدوانيّ، (ميكروب) الشرير، (ميكروب) المدمّر، ثلاثُ صفاتٍ قبيحة، قد اجتمعت في شخصيتي الواحدة التي أعتزّ وأفتخر بها، لا أريد أن أغلّف حقيقة أعمالي القذرة التي قمتُ بها ضد الآخرين لكي أجملها وأقدمها لكم في غلاف أنيق من الكذب الزائف، إنني أكره بشدّة بالغة تلك الباقية من الكلمات المعطّرة واللطيفة من قبيل: مؤدّب، وشاطر، وظريف، ونظيف، ومجتهد... وعندما كنتُ أسمعها، وهي تخرج من ثغر الأستاذ (أحمد) القصير؛ المدرّسِ في مدرسة قرية (تل الضجيج) بريف القامشلي، وأنا جالس أمامه على أحد المقاعد الدراسية، في يومٍ من شهر أكتوبر، كنتُ أشعر بثقل تلك الكلمات التي لا أحبّها، مثل رنة جرس المدرسة الحادّ، وهي تدفعني بقوة جارفة إلى حافة الجنون والارتياب.

التصقتِ النحافةُ بي كدائٍ مستفحل ليس له بُرء، وكان  
التلّص منه من سابع المستحيلات، وقتها كنت أشبه  
شخصية (ماجد)؛ تلك اللعبة الخشبية الهزيلة في الأفلام  
الكرتونية المتحرّكة. وقد أتممت اثنتي عشرة سنة من عمري،  
ولكن من كان يراني وقتها، كان يحسبني -لضآلة حجمي،  
ووزني الخفيف- في الصف الأول الابتدائي، وكأني في عُمر  
ست سنوات، ولست في الصف السادس الابتدائي. وكان  
المخاط اللزج ينصبّ مدراراً من أنفي الكبير على شفطي  
الدقيقتين، ولون بشرتي يمتاز بشحوبه الباهت، بسبب قلة  
التغذية، أمّا ثيابي فدائماً تجدها متسخة ومثقوبة في أكثر  
من مكان، ربّما بسبب يُتمي، وكانت الثقوب الكثيرة فيها  
تشبه غربال تصفية بذور جدتي (خولة)، أمّا شعري الأسود  
فلا أذكر أنني مشطته يوماً ما، دائماً تراه أشعث مغبراً من  
قلة النظافة وعدم الاهتمام، أحكّ فروة رأسي التي يعيش  
فيها القمل والصيبان؛ وذلك لأنني لم أذكر أنّ جدتي (خولة)

غسّلتني، ولو مرّة واحدة، منذ أن أتيت إلى هذا الوجود،  
وكنتُ أحياناً كثيرة أخاف من هبوب الرياح القوية، لشدّة ما  
حدّرتني منها جدّتي المريضة التي فارقت الحياة وأنا في  
مطلع العقد الثاني من عمري؛ إذ كانت تقول لي بصوت  
راعشٍ مهتزّ:

\_ يا (ميكروب) العزيز، إياك أن تخرج من البيت،  
فالشّتاء غدارٌ وعاصف، ورياحه عاتية، وأخاف أن تأخذك  
تلك الرياح اللعينة معها يوماً ما، مثلما تأخذ معها الأكياس  
الفارغة إلى السماء، لأنك خفيف النّقل والحجم، وكنت  
أسمعها بتأنٍ وافتتان قلّ نظيرهما، وأنا صامت لا أردّ كالحجر  
الأصمّ.

\_ (ميكروب) الغبي.

\_ أيوا أستاذ.

\_ لا تقل: (أيوا)، كم مرّة حدّرتك ألا تقولها!!

\_ حاضر إذأ.

فقال الأستاذ:

\_ قم يا بغل، عندما أسألك.

فهقه جميع الطلاب بلا استثناء. واعتاد الأستاذ أن يطرح عليّ الأسئلة الصعبة التي تستعصي على فهمي وليس في مكنتي الإجابة عنها. فقلت له:

\_ نعم.

\_ إذا أجبت إجابة صحيحة عن سؤالي، فسأجعل الطلاب يصقّون لك صفقة ثلاثية، ولك مني قالب كاتو بالكريما.

كان الأستاذ يعرف سلفاً أنه من المستحيل أن أعرف الإجابة، فقد أصبحت عَقِبَ انتهائه من إلقاء درس الرياضيات إحدى فقرات التسلية والترفيه واللهو لديه. وسألني الأستاذ القصير:

\_ واحد زائد واحد.

أجبت بصراحة:



\_ كيف لي أن أعرف ذلك؟

قام من مكانه قيام قائد انتصر تَوّاً في إحدى معاركه  
المصيرية المهمة، وتوجّه نحو جموع التلاميذ، ثم أمرهم  
قائلاً:

\_ واقفوا.

فوقفوا جميعاً استعداداً للمايسترو العظيم الذي وقف  
أمام فرقته يعزف الموسيقى المختلفة، ابتداءً من السيمفونية  
والسوناتا، انتهاءً بالكونشرتو، أمراً تلاميذه العازفين أن يقولوا  
بصوت واحد وقويّ معاً، حتى يسمعه بقية تلاميذ الصفوف  
الأخرى وأساتذتهم، كانت أصواتهم تصل إلى أبعد من كيلو  
مترٍ واحد حينها، هاتفين معاً:

\_ "تفو عليك يا كسلان".

بمجرد إطلاق هذه العبارة الساخرة، كان الجميع تلاميذ  
وأستاذة وحتى طاقم المستخدمين، في مدرسة (تل الضجيج)،  
يعرفون أنني المقصود، وهكذا فشلت في الإجابة وعوقبت في

حصّة مادة الرياضيات. وها هي الحصّة الدراسية الثانية تبدأ،  
وتنهال عليّ الأسئلة من كتاب القراءة، ويسألني الأستاذ  
(أحمد):

\_ (ميكروب) الأبله.

\_ "أيوا".

\_ "ما هذه الأيوا، بنص عينك؟"

كان يريد أن أجيبه بكلمة (نعم) أو (حاضر) احتراماً  
له. فأعقب قائلاً:

\_ قُم يا بغل عندما أسألك، ألا تتعلّم؟ أنا متعجّب من

مخك البليد، حتى الحمار يتعلّم ويتجاوب بالترار، إلا أنت يا  
سبحان الله!!

كنت مصاباً بتبلّد وجداني مُفجّع، وأعاني عدم  
الإحساس بالمهانة والذلّ تجاه نفسي، حتى غدوت لامبالياً  
إطلاقاً، فقلتُ له أخيراً:

\_ حاضر.

أمرني قائلاً:

\_ أخرج إلى السبورة.

وقبل خروجي من الطاولة، تقدّم نحوي، وناولني قطعة

من الطباشور الأبيض قائلاً:

\_ أكتب اسمك.

قلتُ له:

\_ آسف لا أعرف.

\_ حقاً؟

واستطرد:

\_ حتى الآن لا تعرف كيف تكتب اسمك يا حيوان! متى

ستتعلم وأنت في الصف السادس الابتدائي؟

\_ العلم عند رب العالمين.

\_ انظروا إلى قبيح الوجه، والوقح أيضاً.

في هذه الحصة الدراسية، كانت العقوبة مختلفة عن

عقوبة درس الحساب، أمرني أن أخلع ثيابي وأبقى

"بالشورت"، فرأى أمامه عودَ كبريتٍ نحيفاً، ثم أمر أحد الطلاب أن يجلب له إبريقاً من الماء البارد، من ثلاجة الإدارة المدرسية، فلَبى الطالبُ النداء، وأداه بسرعة مثل جريان التيار الكهربائي في الأسلاك، ووقف الأستاذُ شامخاً، وفي يده الممدودة إبريق الماء، وعزم على أن يصبّه فوق رأسي بجرعات خفيفة، وهو يتلذذُ بصنيعه، وكدتُ أن أكونَ الشهيدَ الغريقَ المختنق، وأتهدّدُ بشهقات متواصلة من تحتها، وكلُّ ذلك يحصل تحت أنظار الطلاب الفضوليين الذين كانوا يرمقونني بنظراتهم الشامتة وسخرياتهم اللاذعة، ولو أفرغ هذا الكافرُ الجلّاد ما كان في جعبته من كره وسخرية ولا إنسانية دفعةً واحدة، لما كنتُ قد عانيتُ هذا العذاب المؤلم، ولم يَشْفِ غليله بعقوبة طقس الحمام البارد هذا، بل مضى في إهانته لي ومعاقبتي بلا أدنى شفقة، فأمرني أن أقفَ متأهباً في حالة وضعية الاستعداد، ثم نبّهني بأنه إن صدرتُ مني أدنى حركة، أو أقلُّ همسة، فلا ألومَنَّ في ذلك إلا

نفسى. ما كنت فى نظره إلا حشرة تافهة حقيرة، تستحق أن  
يُدعس عليها، بدلاً من أن يشملني بعطفه ويوطقني برعايته،  
جعلني نداءً له ومحط سخريته اليومية، واستمر في تمرير  
طغيانه غير المحدود، وقال لي متوعداً:

\_ سأجعلُ من حياتك جحيماً لا يطاق، يا (ميكروب)

الشرير.

وأمر جميع تلاميذ الصف أن يقطعوا ورقة بيضاء من  
دفتر واجباتهم المدرسية، وأن يدونوا عليها اسمي وينعتوني  
في جملة بصفة حيوان ما لا على التعيين، عندما سمعت  
منه هذا الجواب، كان برداً على قلبي، كما كان سابقاً برداً  
وسلاماً على جسد سيدنا إبراهيم، والنار تطيف به، فبما أنني  
كنتُ لامبالياً، فلا خوف من المهانة. قام أول تلميذ، وقرأ  
جملته المكتوبة:

\_ (ميكروب) كلب مجروب.

ثم جلس الطالب الأول في مقعده، وابتسامته الساخرة  
لم تفارقه، وقام تلميذٌ آخر من بعده، وقرأ ورقته التي دوّن  
فيها:

\_ (ميكروب) ضفدع قدر.

وجلس منتشياً، وتلاه تلميذ ثالث وقرأ:

\_ (ميكروب) جرز المجاري.

وتتابعت العبارات البذيئة والشتائم، بوفرة غزارة أمطار  
الشتاء: حمار، خنزير، بغل، فأر، صرصور... وظلوا على  
هذا المنوال حتى انتهاء الدوام، ثم قرر الأستاذ (أحمد)  
تكليفي بمهمات خدمية مبتذلة حقيرة وغير تعليمية، بعد أن  
فقدَ الأملَ في أن تتحرك لديَّ الرغبةُ والدافع إلى عملية  
التعلم، كأنَّ أحتفظَ بقطعة الإسفنج معي دائماً، لأكون مسّاح  
لوح الصف الأوحَد، أما اختصاصي الثاني فهو جمع القمامة  
وقصاصات الورق المرمية تحت الطاولات، فنكثُ أجمعها  
كلها في سلّة المهملات الكبيرة، ثم أرميها في أقرب حاوية

في باحة المدرسة، وقد أحببتُ عملي الجديد؛ لأنني لا أنفع  
في المواظبة على الدراسة والتعليم، ووجدتُ في عملي هذا  
خلاصاً من أجواء الدراسة الممقّنة لي، وانتهى الدوام في هذا  
اليوم المأساوي بالنسبة لي، لِمَا لقيته من عقوبات على يد  
الأستاذ، وخرجتُ مُسرِعاً نحو البيت، أملاً في النسيان،  
وصادف أن كان ذلك اليوم يوم الخميس.





في أحد الأيام بقرية (تل الضجيج)، حدث ما لا يُحمد عقباه، لعنة حلّت على منزل الجدّ (سليمان)؛ إذ قام ابنه (صالح) بخطف الفتاة التي أحبّها من بيت أهلها بعد أن تقدّم لخطبتها وقوبلَ طلبه بالرفض، وكان إصراره وعناده يُواجه بمزيد من الرفض والاعتراض من أهل الفتاة، ومع انعدام الحلول بات الخطفُ المخرَج الوحيد لأزمته. وبعد مُضيِّ عامٍ أو أكثر على عيش (صالح) بصحبة حبيبته، جاءت الفرصة المناسبة لأخي الفتاة الكبير الذي ما فتئ يبحث عنهما، وتمكّن من الوصول إليهما، فصوّب عدة طلقات إلى صدر صهره (صالح) ابن الجدّ (سليمان)، وحينها رمّت الفتاة طفلها الرضيع من بين يديها وارتمت على جثة زوجها القاتل، فأكمل الأخ رمي الطلقات المتبقية في مخزن رشاشه، وأفرغها في جسد أخته التي كانت تحتضن جسد زوجها المقتول بشدّة، ورأى أهلها أن هذه العقوبة عادلةٌ ومنصفةٌ

بحقّ ابنتهم وخاطفها، ففي قانونهم لا يُغسل العار ولا يُطهَّر  
إلا بالدم، قُتل الزوجان وخَلِّفا وراءهما طفلاً صغيراً حمّله  
جماعة من أهل الخير والإحسان وسلّموه إلى جدّه (سليمان)،  
وقالوا له:

\_ البقية بحياتك، وهذا حفيديك.

عبارتان مكثّفتان تحملان الموت والحياة معاً، الأولى  
قاتلة تكاد تُودي بما تبقى من عُمر الأب، والثانية مبهجة  
تبشّر (سليمان) بأنه صار جدّاً. لم ينبس (سليمان) ببنت  
شفة، واكتفى باستلام حفيده، وما أن غادر القوم المكان،  
حتى راح الجدّ يرمق وجه حفيده بنظرات ممزوجة بالغضب  
والحبّ في آن واحد، فسارع إلى قلادة معلّقة في صدر الغرفة  
ورثها عن آباءه، ووضعها في رقبة حفيده الصغير.

كُتب على هذه العائلة أحادية التسلسل الفردي في  
عملية الخلفة والولادات الذكورية خاصة، منذ أكثر من سبع

جدّ، فذهب ابن (سليمان) قتييل الهوى الوحيد، وترك ابناً  
وحيداً لم يفرح به كثيراً، في كنف جدّ وحيد.

أدنى الجدّ فمه من أذن حفيده وقال:

\_ بسم الله الرحمن الرحيم... الله أكبر الله أكبر الله  
أكبر. وأذن بصوت مسموع وفق التقاليد ليكون الولد مسلماً  
صالحاً في دينه ودنياه.

ولكن الجدّ كان مشتعلاً في داخله، ولديه رغبة جامحة  
أن يهيئ حفيده للانتقام والأخذ بثأر أبيه (صالح) من جميع  
أهالي القرية الذين لم يتكاتفوا معه في المحنة الأليمة  
والمفجعة التي أصابته في ولده الوحيد، وكانت تدور في  
رأسه عاصفة من الأفكار السوداوية الشريرة، وهو عازم على  
تنفيذها مهما طال الوقت، فقال هامساً بشيء من الخبث في  
أذن صغيره، وهو يحمله بين ذراعيه:

\_ سَأَسْمِيكَ عَلَى اسْمِ أَبِيكَ (صَالِح)، وَلَكِنِّي لَا أُرِيدُكَ  
أَنْ تَكُونَ صَالِحاً فِي هَذَا الْعَالَمِ الْقَبِيحِ؛ لِذَا سَأَزِيدُ قَبْلَهُ اسْمَ  
(مَيْكْرُوب).

ثم سكت برهة وأضاف:

\_ وَكُنَيْتِكَ (وَيْكِي).

ثم أعاد الاسم الثلاثي لحفيده:

\_ (مَيْكْرُوبُ صَالِحِ وَيْكِي).

كان يعرف حق المعرفة أنه اختار اسماً شاذاً لا يلائم  
أبداً شكل الولد الجميل، ولكن من له حق الاعتراض عليه،  
فالطفل يتيم الأبوين، وحتى جدته المريضة ليس لها أي رأي  
في التسمية.

وما إن بلغ (ميكروب) سنَّ الثامنة، حتى بدأ الجد  
(سليمان) يُعلِّمه، أولى خطوات بناء السلوك المنحرفة،  
ليستكمل ما خطط له حين اختار له ذلك الاسم القبيح؛ إذ  
كان ناقماً على أهل قريته (تل الضجيج) التي يجتمع رجالها

كلّ يومٍ مساءً في غرفةٍ واسعة، فيتحدّثون في مختلف الأشياء، ويناقشون الأخبار المحليّة والعالميّة والاقتصاديّة... وكانوا يميلون إلى الاستماع إلى الشعر والأساطير الشعبيّة القديمة، ويقفزون بتعمّد مقصود على حادثه القتل العمد، فلم يذكروها ولو لمرة واحدة على مرّ السنوات الثماني عليها، ومع كلّ يوم يمرّ تتراكم طبقة من الضغينة والحقد الأسود في صدر الجدّ (سليمان) على أهل القرية بالجملة، من المهد حتى الحد.

وفي يومٍ مشمس، كان العجوز (سليمان) جالساً على الدكّة الطينيّة المرتفعة عن الأرض، أمام منزله في آخر القرية، شاردأ يتأمّلُ حفيده (ميكروب)، وهو منهمكٌ في قيادة علبه سردينٍ فارغة من محتوياتها، وقد أكل الصدأ من حوافها، ثم أوقف (ميكروب) محرّك شاحنته المكوّنة من هيكل علبه السردين الفارغة التي كان ينقل بها التراب، وقد أيقظ صوتها الذي يُشبه الشخيرَ العالي الجدّ (سليمان) من

تأملاته عميقة الغور وأفكاره السوداوية التي كانت تختمر داخل رأسه، ونظر إلى كتلة التراب الضخمة، والمتجمعة تحت حذائه البلاستيكي، وتأكدَّ أنَّ الصِّغار لديهم شغفٌ في تقليد الكبار في كل حركاتهم وجميع تصرفاتهم، وبينون عالمهم الخاص المصغَّر والمحاكي للعالم الحقيقي، كما أنهم ينفذون الأعمال الصالحة والطالحة التي يفعلها الكبار من دون وعي منهم، فلا يُدركون حلالها من حرامها، ولا جوازها من عدم جوازها، ولا خيرها من شرّها... وهاهو (ميكروب) الغرّ سيلج إلى عالم الشرِّ بأوسع أبوابه المُشرَّعة في وجهه، مستقبلاً إياه بصدر رحب، وحرارة بالغة.

انطلقت صباح الأحد إلى المدرسة باكراً لتنفيذ العقوبة التي حددها لي الأستاذ (أحمد) الذي عاقبني الخميس بمساعدة زبائنه الذين قاموا بالسخرية والاستهزاء مني في أثناء الدوام، فتوجهت من فوري إلى اللوح الأخضر الكبير المعلق على الحائط، أحمل معي قطعة من الليف، وأخذت أزيل بنشاط الكلمات العالقة من الدروس السابقة عليها، بعدها بدأت بالطقس الصباحي الثاني، وهو جمع الأوراق المنزوعة من الدفاتر وبقايا فُتات الخبز الذي سقط من الطلاب، وغيرها من نفايات مرمية تحت المقاعد، ومتناثرة في أرض الصف.

كان هذا يومٍ سعدي؛ لأنني أحضرتُ مفاجأة سارة، لن أعلن عن تفاصيلها، حتى يحين الموعد المناسب لتنفيذها، لتكون ردّ اعتبار لي من الإهانات التي تلقيتها مؤخراً، قد يكون للأستاذ (أحمد) كلُّ الحقِّ في تعذيبي؛ لأنني لست أهلاً

للتعلم بنظره، ولا تتوافر لديّ مقومات الطالب الناجح، ولكنني مصمّم أن تكتمل فصول المسرحية التي بدأت، ورفعت الستار عن أحداثها، وسأشارك بنفسي في رسم بعض الأحداث المهمة فيها، من دون أن أكشف عن نفسي علناً، ومن دون أن تُوجّه نحوي أصابع الاتهام، سأؤدّي دوري في الخفاء والسرية التامة، وبمهارة عالية.

أقبل الأستاذ (أحمد) إلى الصفّ فرحاً، وكان وجهه يشعّ سروراً، نزع كعاداته الدائمة معطفه وعلّقه على مسند الكرسي الخشبيّ، ثمّ بدأ العريف (عادل نوري) المصاب دائماً بأنفلونزا الطيور، بالقيام بدوره في أحسن أداء قائلاً:

\_ قيام.

وقف جميع تلاميذ الصفّ السادس الابتدائي باستعداد

وشموخ، فقال الأستاذ (أحمد):

\_ صباح الخير.

ردّدنا بأصوات عالية وقلب واحد:



\_ صباح الخير يا أستاذ.

أمرنا الأستاذ بالجلوس، وعمّ الهدوء والصمت القاعة التي كان فيها عشرة صبيان واثننا عشرة صبية مختلطين، وهو نظام حديث لم يكن شائعاً من قبل. كانت الحصّة الأولى لهذا اليوم مادّة الجغرافية، فشرع الأستاذ (أحمد) يشرح الدرس، في حين كنتُ شارداً أفكّر بتنفيذ خطوات خطتي القادمة. كان من عاداتي عدمُ الإصغاء إلى كلام المدرّس، حتى وإن لم يكن هناك مقلّبٌ مدبّر. مرّت الحصّة سريعةً وانتهى الأستاذ القصيرُ من شرح الدرس، ثم أخذ يطرح أسئلة تتعلّق بالدرس ليختبر مدى فهم التلاميذ واستيعابهم لما شرّحه، وكان السؤال الأول:

\_ أيّ نوع من الفاكهة تشتهر سورية بإنتاجه؟

رفع جميع التلاميذ أياديهم عالياً في الهواء، وكانوا يزاحمون بعضهم على الجواب، في ضجيج حادّ يكاد يقطع أقوى غشاء طبلة أذنٍ في العالم، وظلّ الأمر مُعلّقاً لثوانٍ

ولكنني كنت أحسها دقائق وساعات؛ إذ كان الأستاذ يتأمل  
وجوه التلاميذ ليختار، ولسوء حظي تجاهلهم جميعاً، وصاح  
بصوته المرتفع الذي قطع كلّ ضجيج:

\_ (ميكروب).

\_ حاضر.

كنت أسمع وجيب قلبي واضحاً، ثم أعاد السؤال  
خصيصاً ووجهه لي:

\_ هل لك أن تقول: ما الفاكهة التي تُشْتَهَرُ سوريةً  
بإنتاجها؟

\_ سؤال صعب يا أستاذ.

\_ ألم أكنُ أشرحُ الدرسَ قبلَ دقائق من الآن؟!

\_ لا أدري.

دائماً ما كنتُ أحاولُ أن تكونَ أجوبتي مقتضبةً جداً،  
لكيلا أثير غضبه وحنقه عليّ أكثر مما هو عليه، ولأخفّفَ  
من نوع العقوبة الواقعة. كنتُ أتخذ من آخر طاولة في الصفِّ

حصناً آمناً لي، فتقدّم نحوي حاملاً عصاه القصيرة، ثم ضرب بقوة على كتفي ضربة آلمتني كثيراً، ولكنني كتمت ألمي خوفاً في أن يتمادى الأستاذ في ضربه أكثر، فقال لي:

\_ دائماً أنت لا تدري! يا غبي، سورية من البلدان التي تُشتهر بإنتاج فاكهة المشمش عالمياً.

\_ وما الفائدة من معرفة ذلك أستاذي؟

\_ يا بغل إنه علم، ألا تعرف أن العلم نور والجهل ظلام؟! لو كنت عرفت الجواب، لتجاوزت المرحلة الحيوانية إلى المرحلة الإنسانية. وأمرني:

\_ واقفأ.

\_ حاضر.

ولكن عقوبة هذه الحصاة كانت مختلفة عن عقوبات سابقاتها فهو طقس من نوع جديد، فيه فساد أخلاق جيل كامل، ثم أمرني أن أخرج وأقف أمام اللوحة المؤطرة على الحائط، ووجهي باتجاه تلاميذ الصف، وتابع أوامره أن أشلح

ثيابي، وأبقى بالشورت فقط، وظهرتُ كهيكَل عظمي، يصلح لشرح دروس مادة علم الأحياء، وبدأ جميع الطلاب يُقهقهون ضاحكين بصوت عالٍ، لا أحد يعرف على وجه التحديد ما العقوبة التي أعدها لي، وكانت علبة دخان الأستاذ على الطاولة، فتقدّم نحوها جزلاً، وأنا أراقبه بطرف عيني، وحمل العلبة الممتلئة بالسجائر، وتقدّم مغتبطاً نحوي، وقام بفتح غطاء العلبة القلاب، من نوع الحمراء الطويلة الفاخرة، كانت وطنية الصنع، وتصدّر خصيصاً للخارج، فأخرج منها أربع سجائر، مثل أربعة صواريخ أرض جو، ولقّمتها في فمي دفعة واحدة، وبترتيب تصاعدي، ثم تبعتهما بعد ذلك سيجارتان ثانيتان، ووضعتهما في فتحتي منخاري الضخم، وهو دليل المجد والطموح، ثم أتبعتهما باثنتين أخريين، حشرهما في فتحتي أذني قليلتي السمع، عاهة متوارثة من الأجداد، وكل هذا يحدثُ أمام دهشة وذهول التلاميذ الجالسين في مقاعدهم، وهم ينظرون بصمت ويحدّقون بقلق، على ما

يفعله بي الأستاذ (أحمد)، وهو منهمك في عمله الخبيث، ثم بدأ يبحث بحيوية مفرطة في جيوبه عن شيء، ولكن بعد بحثٍ مُضنٍ، لم يجد ضالته التي كان يُجهد نفسه في البحث عنها، فأمر العريف قائلاً له:

\_ اذهب يا عريف (عادل) سريعاً، إلى الإدارة واجلب القذّاحة.

\_ حاضر.

هرع (عادل نوري) مسرعاً إلى الإدارة، وجلب القذّاحة وناولها إلى الأستاذ المبتهج، واقترب حتى كاد يلامسني، ثم التفت إلى التلاميذ قائلاً:

\_ لا أريد أن تكونوا صامتين، إذا ما قمْتُ بإشعال كلِّ سيجارة، أريد منكم أن تهلّلوا وتصفّقوا وتصرخوا بأعلى أصواتكم، هل أنتم موافقون؟

أجابوا جميعاً:

\_ نعم أستاذ موافقون.

انتهى العُدُّ التنازلي في التنفيذ، وقام بإضرار النار في  
أول دفعة من ألعابه النارية، تلك الألعاب التي يحفل بها  
الناس كثيراً في أوقات الاحتفال بأعياد رأس السنة الميلادية  
الجديدة، ومع أول دفعة من اشتعال السجائر الطويلة ذات  
التبغ الثقيل، سحبتُ كمية كبيرة من الدخان، وابتلعتُه غصباً  
عني، وبدأتُ معها أسعل سعالاً مريعاً، بينما كان الطلاب  
يستمتعون ويسخرون، وتمادوا في سخرياتهم واستهزائهم  
بي، عندما رأوا قطرات دموعي إثر الدخان الذي دخل إلى  
عيني وأحرقهما، لم يتركني وشأني بعد، بل ظلّ مصرّاً على  
المضيّ قدماً إلى الأمام، فأتّم إشعال بقية السجائر، وظننتُ  
أنني أصبحتُ متهيئاً للموت، من كثافة الدخان الذي اجتمع  
من حولي، حسبتُ أنني سأخترق سقف القاعة مثل صاروخ  
يستعدّ لاختراق الفضاء.

أنهى عقوبته، وأداها أداءً رائعاً وجميلاً، والآن جاء  
دوري في ردّ الانتقام بالمثل، كنتُ قد خطت له جيداً،

وسأبدأ بتنفيذ خطتي منذ هذه اللحظة، ولن أجد فرصة ووقتاً أفضل من ذلك، حتى الآن لا أحد منهم يعرف ما أنوي فعله، طوال يوم الخميس الفائت، وتقريباً يوم الجمعة والسبت بأكمله، فكرتُ كثيراً، ولكنني لم أهدِ إلى فكرة أفضل من هذه؛ إذ قررت أن أحصل على عقب سيجارة، التقطتها من الأرض، كانت مدعوسة من أحد المارة الذين انتهوا منها، وكان عليّ فقط أن أشتري قداحة، والقيام بالتنفيذ، وفي نهاية الحصة، كان الأستاذ محاطاً بالتلاميذ، وهم يسألونه، عن بعض فقرات الدرس التي لم يستوعبوها جيداً، وهنا اغتتمتُ الفرصة المناسبة، وتهيأتُ مستنفراً لكي أضع عقب السيجارة المشتعلة، في جيب معطفه المسند إلى خلفية الكرسي، وهو يخلعه عند الدخول، ويلبسه عند الخروج، فيكون قد بلع الطعام، انتهى دوام اليوم، وقد اجتمع من حوله الطلاب في فوضى وعشوائية، فقمْتُ بحمل ثيابي بين يدي العاريتين بحجة ارتدائها، وتوجّهت إلى الزاوية القريبة من الكرسي،

وقدحت القداحة متوارياً عن الأنظار، وقمتُ بإشعال عقب  
السيجارة التي كانت بحوزتي، وكانت بمنزلة طلقة نارية  
قاتلة، ووضعتها خلسةً في جيب المعطف المعلق، وما إن  
بلغتُ غايتي بثوانٍ، كان الأستاذ يلبس معطفه، وهو يخرج  
من الصف، والتلاميذ كانوا يخرجون من بعده، وما إن وصل  
إلى باب سور المدرسة الرئيسي، حتى بدأ عقب السجارة  
المشتعل الراكد في قاع جيب المعطف المظلم يُشعل ما حوله  
من قماشٍ، وأخذتُ ألسنة اللهب تتطاير من المعطف المهترئ  
القديم، وبدأ الدخان يتصاعد كثيفاً من الأستاذ المحترق، فما  
كان منه إلا أن أطلق سيلاً جارفاً من الصرخات العالية  
والمفزعة، وكان يولول قائلاً:

\_ النجدة، أرجوكم، أنقذوني، إنني أحترق، إنني أموت.

كان يبكي وينشج كالنساء الثكالي، ولم يخطر ببال أحد

أنني الفاعل، لأنَّ الشبهة كانت تحيط به، كونه مدحّناً،

وجميع الطلاب كانوا شاهدين على أنه استعار قداحة مدير



المدرسة التي قد تكون سبباً في اشتعال النار، فنجوئ  
ونجحت في مهمتي الصعبة، وقد بلعت السمكة الطعم، وكان  
صيدي في هذا اليوم ثميناً، ورداً مكافئاً لكل العذاب والمهانة  
الذين لقيتهما على يد الأستاذ (أحمد).



دخل (ميكروب صالح) عالمَ الشرِّ وهو صغير، وكان  
جدّه (سليمان) يزداد سعاراً واهتياجاً، كلّما مرّ الوقتُ وتأخّر  
في تنفيذ خطة الانتقام التي خطّط لها سابقاً، ومنذ اليوم  
الذي كان فيه حفيده ابنُ الثامنة يلعب بعلبة السردين  
الفارغة، وهو يفكّر بخطة مناسبة للانتقام، وها قد آن الأوان  
للتنفيذ، إذ قسا قلبُ الصغير، واشتدَّ عودُه نوعاً ما، وجاءت  
الفرصة المواتية ليختبر قدراته، ومدى استعداده لتنفيذ  
مخططات جدّه، فبينما كانا واقفينِ أمام باب منزلهما، لمح  
الجدُّ في الزقاق الضيق أرنيين ذوي فراء أبيض وعيون  
حمراء، كانا من النوع الفرنسي الضخم، فقال الجدُّ للحفيد:

\_ (ميكروب).

\_ نعم.

\_ هلاً نظرتَ جيّداً إلى الزقاق.

ظلّ الصغيرُ مندهشاً إلى أي زقاق ينظر، وقد اختلط عليه الأمر، لكثرة الأزقة والممرات الضيقة بين البيوت، كانت كمتاهات حقيقية ضيقة، يمكن استعمالها في الاختبارات، التي تحدد نوعية الذكاء في مسابقات الألعاب.

فقال له الجد (سليمان):

\_ دققِ النظر في الزقاق المقابل لك تماماً.

واستطرد واضعاً إصبعاً من أصابعه على فمه:

\_ هُس، حذارٍ من أن تثير الضجة.

\_ أوه، أرنبان!

\_ نعم أرنبان.

فقال (ميكروب) منبهراً:

\_ كم هما جميلان!

سأله العجوز الداهية الذي يعرف أن الأطفال يقعون

سريعاً في حب الأرانب:

\_ هل تحبها؟

\_ أموت فيها.

\_ إذا استعدَّ جيداً، فهما لك.

\_ لي؟! كيف ذلك؟

\_ سأشرح لك كيف يمكنك الحصول عليهما بسهولة.

فشرع يزوده بتعليمات وخطة محكمة ليسرقهما، وأمره بعدها بالانطلاق، فانقضَّ كالنسر الجارح على الفريستين، ووضع أول أرنب تحت قميصه، وفرَّ به هارباً إلى داخل المنزل، وتلقَّفه المنتظر الملهوف فخرأً واعتزازاً بنجاح أول جزء من خطة السرقة التي قام بها بالتعاون مع اللص الصغير، وقبل أن يبدأ الإغارة الخاطفة الثانية على الأرنب الآخر، زوَّده بمعلومات إضافية، وطلب إليه أن يلاحقه بتمهّل، وأن ينظر في جميع الاتجاهات، ونحو أبواب جميع الأزقة، وكل تلك الاحتياطات، كيلا يثير الشكَّ والريبة في نفوس الآخرين تجاهه، ثم انقضَّ على الأرنب الثاني،

ووضعه تحت قميصه الفضفاض، وفرّ بسرعة قصوى، مطلقاً  
ساقيه للريح، حتى يلج إلى منزله الآمن من أعين النظارة،  
أصبحت جريمته كاملة، من دون أن يترك أدنى بصمة من  
ورائه، كيلا يُشتبه به أنه هو الفاعل الحقيقي، وقد نجح في  
المهمة الأولى التي كُلف بها، وجلب الأرنبين من دون أن  
يكتشفه أحدٌ، وازداد الصغير فرحاً عندما عرف من الجدّ أن  
إحداها أنثى والآخر ذكر، فهذا يعني مزيداً من الولادات  
الجديدة.

بدأت علائم الفرح والنشوة على محيّا الجدّ، وقال لحفيده  
بحماسة:

\_ (برافو)، يا بطلي.

ولكنّ الصغير تعاوره شعوران، شعور بالفرح لحصوله  
على أرنبين يؤنسان وحدته، وشعور آخر بالهمّ والحزن من  
أن يكون الجدّ يخطط لذبحهما وأكل لحمهما، فلم يستطع

الصبر ليكشف له الجدّ عن نيته المبيّته من عملية الخطف،  
فبادرَ جدّه بالسؤال:

\_ ماذا سنفعل بالأرنبين الجميلين يا جدّي؟

\_ يلزمنا أرناب أخرى غيرها.

تنهّد (ميكروب) فقال:

\_ من أجل الذبح؟

\_ لا.

\_ لمّ؟

أحسّ (سليمان) بما كان يشعر به (ميكروب) فقال:

\_ أحقاً تريد أن تعرف مصيرها؟

\_ بالطبع.

\_ ويهمك أمرها إلى هذا الحدّ؟

أجابه (ميكروب) قلقاً:

\_ نعم، يهمني أمرها؛ لأنني أحبّها، ولا أريد أن أفنقدها.

\_ فهتمك الآن.

كان يتحدث، وهو يرتجف ويهتّز من الخوف؛ إذ ظلت فكرة الذبح تعاوده في كل دقيقة.. بل في كل ثانية. كاد أن يشرع في البكاء الحادّ إذا فقد تلك المخلوقات اللطيفة ذات الفراء الثلجي الناعم، والعيون الحمراء المشعة، إذا ما قام الجدّ حقاً بذبحها وطبخها مع نبات الملوخية الشهية الطازجة، فستكون عندها قد حلت كارثةٌ على رأس يتيم الأبوين، وستظلّ نكراها تلاحقه في أحلامه على شكل كوابيس فظيعة، ستمنعه من متعة النوم الهانئة طوال حياته، أصبحت هيئته مزريّة؛ إذ عانى في الفترة الأخيرة، خليطاً من الانفعالات المتشابكة التي دفعته إلى جلب مزيد من القلق والتوتر، كان الجد قد لاحظ تلك التطوّرات المستجدة، وخاف أن يموت كرباً وغمّاً على فقدان الأرنبيين اللذين سرّقهما، وأشفق عليه فخاطبه ليطمئن قلبه:



\_ انظر إلى هذين الأرنبيين، هما ذكر وأنثى، أخذناهما  
ليدا لنا صغاراً كثيرة.

ما إن سمعَ هذا الجوابَ الذي يشفي أكثر الصدور  
علّة، حتى هَشَّ وبَشَّ وجهه المربدَّ بهجّةً وسروراً سائلاً جده  
(سليمان):

\_ وهل ستقيم معنا في الغرفة نفسها؟

\_ ولم العجلة؟

\_ لا. لا.

انتهى يومهما إلى ذلك الحدّ، ولكنّ هناك مراحلَ أخرى،  
فالغاية مبيّنة سابقاً، والنهاية لن تأتي إلا بعد حين، والأيام  
القادمة كفيلة بكشف الستار المسدل عن كلّ ما يخطط الجدّ  
له.



نجا الأستاذ (أحمد) من الحريق الأخير بأعجوبة، وقد أخذت ألسنة اللهب تلسعه كسياط الجراد، آخذة بالتصاعد إلى مجامع جسده كلها، ومن حُسن حظّه، هرعت جموع التلاميذ المنصرفين إلى البيت إلى مساعدته، كما هبّ الأساتذة الآخرون لنجدته، وقاموا بإطفاء النار التي أخذت تلتهب بمجامع جسده وثيابه، لكنّه لم يمت، وبقي على قيد الحياة في ذلك اليوم المشهود.

غاب الأستاذ (أحمد) خمسة عشر يوماً عن المدرسة بعدها، وكُلِّفَتْ معلمةٌ أخرى للتدريس نيابة عنه، ريثما تتحسن صحّته. وفي واحد نوفمبر، داوم مجدّداً، ولكنه -بعد حادثة النار التي لم يعرف فيها هوية الفاعل - بدل أن يحنّ قلبه ويرقّ ازداد مقتاً وكرهاً للطلاب.

دخل الأستاذ (أحمد) إلى القاعة فنّبّه العريفُ (عادل نوري) الطلاب للوقوف والترحيب بالأستاذ المتضرر... أسند

الأستاذ معطفه الجديد إلى مسند الكرسي كالسابق، وطلب إليّ بعنفٍ مسحَ السبورة بقطعة الإسفنج التي كنتُ محتفظاً بها، كقطعة من جسدي، لو ضاعت لضعتُ معها أنا أيضاً، وفي أثنائها أخذ العريفُ التفقّدَ الصباحيَ لأسماء الحضور والغياب المبرّر وغير المبرّر، ثم شرع الأستاذ في إلقاء الدرس، وكانت الحصّةُ لمادة التربية الدينية، وقبل الخوض في التفاصيل والمعلومات، أخرج مرآة صغيرة الحجم من جيب بنطاله الجانبي، ونظر بحسرة وتأوّه إلى البقع السوداء التي ظهرت في جبهته، ومسّد بتنهد قويّ رأسه الذي لم تظهر فيه شعرة واحدة، فقد حصدت النار زرع رأسه الناضج. ثم استأنف شرح الدرس، وكالمعتاد ما إن انتهى الدرس حتى عاود معاقبتي بأشدّ من قبل، فبدأ بإلقاء الأسئلة الصعبة عليّ، فلم أعرف، فانهالت العقوبات عليّ، بل أصبحت عقوبته لي شبه يومية، كأني طقس، مثل النوم، والذهاب إلى المرحاض، وغسل الوجه واليدين بالصابون الغار الحلبي

الممتاز، ووجبة فطور الصباح التي لا غنى عنها، والذهاب إلى المدرسة، والقائمة لا تنتهي من تلك الطقوس الرتيبة لكل يوم من أيام السنة، لذا فكرت بعمل انتقامي جديد من الأستاذ الحقود المغرور والتلاميذ القذرين، سأواجههم بقوة وضراوة، لن أنحني وأتخاذل أمامهم، وسأظل أقاومهم حتى آخر رفق من نفسي، ولكنّ هدفي الأول هو أذية الأستاذ. هناك مثلٌ شعبيّ يقول: "إن الحَجْر الذي لا يعجبك يفجّك"، صحيح إنني ضئيلُ الحجم خفيفُ الوزن، لكنني مع الأشرار أكون شريراً بل أشرَّ منهم، حذارِ ثم حذارِ ألا يأخذ الأستاذ وبلطجيته من الطلاب المتمادين احتياطاتهم اللازمة؛ لأنني سسيل جارف، سأجرّفهم جرفاً، وسأطمرهم طمراً، من تحت الطمي، ولا سيّما ذلك الأستاذ المعتوه الذي لا رحمة في قلبه، لن أرحمه، فكما تدين تُدان، والعين بالعين، والبادئُ أظلم، هكذا علّمني جدّي (سليمان)، الفائز من ينتصر في النهاية، فلا تراجع إما أنا أو هو، أو نكون نحن الاثنان خاسرين.

كلّما مضتِ الأيامُ تزدادُ حدّةُ العداوةِ والبغضِ بيننا،  
معركةِ أساتذٍ وتلميذٍ بدأت، ولكن متى تنتهي؟ لا أحد يعلم  
بها، شعارها الوحيد: "لا للمساومة والخضوع للآخر". أنا ضدّ  
المجموع، أنا ضدّ الكلّ، يقولون: البقاء للأقوى، وأنا أحسّ  
أنني الأقوى والأفضل في الصراع الدائر، هكذا تخيلتُ، هكذا  
مَنيتُ نفسي من أجل مواجهة اليوم، وحتى مواجهات الأيام  
القادمة أيضاً.

تحسّستُ جيبي المنتفخ، كانت هي المفاجأة المنتظرة،  
قنبلة الموسم المتفجرة التي سينالها أساتذتي مربّي الأجيال  
الفاضلة بعد قليل، قسماً عظماً، سأجعله يهلوس ويتكلّم مع  
نفسه، سأذيقه كأساً من العلقم، كما سقاني كؤوساً من قبل،  
فلينتظر ما سيحلّ به.

وصلنا إلى الحصّة الأخيرة من الدوام المدرسيّ، وها أنا  
ذا أراه لأول مرة يجلس على الكرسيّ مُنْهَك القوى، مخاطباً  
التلاميذ:

\_ اليوم سأشارك عدداً غير قليل من التلاميذ في  
الأسئلة، ولكنني أنا الذي سأختارهم، ورجائي الوحيد ألا  
ترفعوا أيديكم في الهواء.

واستطرد سائلاً:

\_ هل أنتم موافقون يا أحبائي؟

موجةً محبّة نزلت من سحابة سماوية على الطلاب،

فأجابوا جميعاً هاتفين:

\_ موافقون.

كانت العصا تلعب في يده اليمنى، وكان يضرب بها

ضرباتٍ خفيفةً على راحة كفه اليسرى، ثم بدأ بأول سؤال في

مادة التربية الدينية المختلطة:

\_ الطالب (عذرا).

\_ حاضر.

\_ هل بإمكانك، أن تذكر لنا بعضاً من الوصايا العشر؟

\_ أكرم أباك وأمك، لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشته

امرأة قريبك...

\_ يكفي.

وأضاف الأستاذ:

\_ برافو (عذرا)، صفقة ثلاثية لصديقكم.

انتقل الأستاذ إلى السؤال الثاني منادياً:

\_ (فادي).

\_ نعم.

\_ ما أركان الإسلام؟

- بُنِيَ الإسلام على خمس: شَهِادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ

رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

\_ هل ذهب أبوك إلى الحج؟

\_ نعم.



\_ إذا صفقة ثلاثية مرتين، للتلميذ الشاطر (فادي).

وتوالت الأسئلة المختلفة على الوتيرة ذاتها، إلى أن

وصل إلى السؤال السابع، فقال الأستاذ:

\_ (ميكروب).

\_ أيوا.

\_ جحش طوال عمرك.

\_ لماذا؟

\_ انظروا إلى الحقيير يسأل: لماذا؟

نقل العصا الخشبية من يده اليمنى إلى يده اليسرى

وقال:

\_ قُلْ: حاضر، أو قل: نعم.

\_ حاضر، نعم.

\_ مَنْ آخِرُ الأنبياء؟

\_ لا أعرف.

\_ لا تعرف؟! أخرج من المقعد يا كلب.

خرجتُ على الفور من المقعد، كنت جالساً في آخر القاعة، ووقفت باستعداد أمام اللوحة، وجعلتُ ناصيتي باتجاه الحائط، ثم أمرني أن أرفع ذراعِي إلى الأعلى، وتابع طرح الأسئلة على التلاميذ، وتركني في حالتي الكئيبة مدةً طويلة، اجتاح الخدرُ والتنميل جميعَ أطرافي، وفقدتُ على إثرها الإحساس بتلك الأعضاء، ثم التفتت إليَّ الجلاذ وأمرني أن أنزل ذراعِي إلى الأسفل، وأن أرفع رجلاً واحدة إلى الأعلى، لأقف على قدم واحدة، كما تبوُّ الكلاب، ثم تركني العاهر في تلك الوضعية التي لا طاقة لولد بسني على تحملها، كدث أقع مغشياً عليَّ من التعب والإرهاق، أعتقد أن الأستاذ فنَّانٌ عبقرِيٌّ مُبدِعٌ في فرض أساليب التعذيب الجسدية والنفسية، إنه يصلح أن يكون جلاذاً في السجون، وبالمقابل صنع منِّي شريراً ناقماً قادراً على ابتكار أساليب جديدة في الانتقام.

فعندما انتهى دوام هذا اليوم، نهض الأستاذ ليهيئ نفسه للانصراف، فاقترب منه عدد من الطلاب المجدين يطلبون إليه أن يسألهم في المرّات القادمة، فاغتنتم فرصة انشغاله معهم، ولم أكن بعيداً عن المعطف الجديد المعلق على مسند الكرسي الخلفي، وأخرجت الضفدع اللزج القبيح من جيب بنطالي، ودسسته بلمحةٍ بصيرٍ وبمهارَةٍ في جيب المعطف من دون أن يلاحظني أحد، ثم تراجعتُ إلى الخلف، وانضمتُ بسرعةٍ إلى حشود الطلاب مراقباً ردّة فعله حين سيرتدي معطفه.

رأيتُ الأستاذَ يتوجّه إلى معطفه ويرتديه بسرعة، بمساعدة عريف الصفّ بسبب عطل في ذراعه، وبعد أن زرّ أزراره، وهو على عتبة باب القاعة، وضع كلتا يديه في جيبي معطفه الجديد، ليتباهى به أمام التلاميذ، فأحسّ بكتلة غريبة لزجة في جيبه، فقبض عليها بأصابعه وأخرج بسرعة يده، وبدا عليه الاندهاش والذعر حين فتح أصابعه ووجد هذا

الحيوان الدميم المقرف بينها، وبحركة لا إرادية وفزع شديد رماه إلى الأعلى، حتى لامس ظهر الضفدع سقف قاعة الصف، ووقع هابطاً واستقرّ وسط كومة التلاميذ الذين كانوا سائرين للخروج من القاعة، فعلا صراخهم، وشرع كل تلميذ يركض خوفاً وهلعاً باتجاه غير محدد، ومنهم من اختبأ تحت الطاولات، ومنهم من أخذ يبكي بكاءً مرّاً...

أمّا معلّمهم المسكين فكان موقفه مُحرجاً جداً، يا حرام أصابه الإغماء من هول المفاجأة ووقع على الأرض، وكأني به قد ظنّه أفعى أو أيّ حيوان مؤذٍ، في حين نهض الضفدع المسكين، وأخذ يثب وثباتٍ متعبَةً داخل القاعة، وعندما رآه الطلاب اطمأنّوا قليلاً، وهرعوا والتفّوا حول الأستاذ الممدّد على الأرض كالخرقة البالية، وأسرع العريف يركض باتجاه الإدارة، لإخبارهم بما حدث لإسعاف الأستاذ.

وهنا أتت اللحظة السارة لي التي شفت بعضاً من غيلبي على هذا الأستاذ اللئيم؛ إذ من هول المفاجأة المرعبة

التي لم يتحملها قلبه الضعيف، بال على نفسه، فلاحظ الطلاب المتجمهرون حوله بقعة من البول الأصفر قد صبغت بنطاله الفاتح، وتجمع بعضها من تحته على بلاط أرض الصف، فكان بعضهم متأثراً بما حلّ به، وكان آخرون يتغامزون فيما بينهم شامتين بالأستاذ. ولا شك في أنني كنت أكثرهم سعادة لما أصابه؛ إذ شعرتُ بالزهو ولذة الانتقام التي زرع بذرتها في داخلي بداية جدّي، ثم معلّمي القاسي، حتى غدوت مؤمناً بأن أواجه الشرّ بالشرّ، والخيرَ بالخير.

بهذا الشكل المأساوي انتهى الدوام المدرسي، وبحضور طاقم من الإسعاف الطبيّ إلى المدرسة، فنقلوا الأستاذ المغمى عليه إلى أقرب مشفى، لمعالجته وإيقاظه من غيبوته.



جاء اليوم الثاني بفارغ الصبر، منذ سرقة الأرنبيين الفرنسيين، وكان (ميكروب) الشرير متلهّفاً لمعرفة ما سيؤول إليه مصيرهم، وقد رأى الجدُّ علامات السهاد والأرق باديةً على وجه حفيده الشاحب، فعرف على الفور أنه لم ينمّ ليلته نوماً كافياً، فكان حاله في نهاية الأمر ما بين غافٍ أو شبه نائم، وخلال فترات نومه المتقطعة، كانت أغلب أحلامه رؤى عن الأرناب، وكيف يتربّحها بشغف، ويتلهّف إلى احتضانها بشوق وانبهار، وهي تأكل من تلك الحشائش الخضراء، لقد أحبّ تلك المخلوقات اللطيفة الوداعة ذوات العيون الحمراء والفراء الأبيض أكثر من روحه، وتعلّق بها روحاً وجسداً، حتّى أصبحت تمثّل عالمه الخاص، فقال جده:

\_ (ميكروب) اجلب لي تلك الأحجار، ثم الحقني إلى

خلف الدار.

\_ ماذا ستفعل يا جدي؟

\_ سنبنى لهما كوخاً خاصاً بهما.

\_ كوخاً للأرنبين.

لم يكن متوقعاً بالمرّة لِمَا سمعه للتو من جدّه.

\_ نعم. ألا ترى أنني عازم على ذلك؟

\_ وأنا بخدمتك دائماً.

كان (ميكروب) ينقل الأحجار، وهو في غاية السعادة، وبدأ معاً بوضع حجر الأساس، وقبل أن يحلّ ظهر ذلك اليوم، كان البناء جاهزاً مع حفرة متوسطة وسط البناء المشيّد، مدعماً بسيّاج من الغبول الناعم، وما إن انتهى من اللمسّات الأخيرة، توجّه إلى المنزل حاملاً كلّ واحد منهما أرنباً في حضنه، ثم وضعاهما برفق داخل السيّاج المحاط بالكوخ الجديد، فسأل (ميكروب) جدّه:

\_ من أين سنأتي بالطعام؟

\_ سنجلب لهما الأعشاب الطازجة.

\_ والماء؟



\_ الماء أيضاً متوفّر.

وبدت علائم الراحة تظهر على وجهه (ميكروب) بدلاً من القلق الذي كان ينتابه من قبل، ثمّ تقدّم نحو مُعلِّم الشرّ الأول الذي أرضعه لبان الغدر والحقد والانتقام، فغدا كذئب الفرزدق الذي قال فيه:

وَأَنْتَ يَا ذَنْبُ وَالْغَدْرُ كُنْتَمَا      أَخِيَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلْبَانِ

وحينما بدأ يلاحظ الأرنبيين يحركان فكّيهما باستمرار، عاوده القلق والفرع من جديد، وبخاصة عندما رأى تلك الحركات الغريبة لا تتوقّف أبداً، فسأل معلّمه العجوز:

\_ ألا تنتهي تلك الحيوانات من الأكل أبداً؟

\_ من قال لك هذا الهراء؟

\_ ألا ترى فكوكها لا تتوقّف عن الحركة، من بعد ما

تنتهي من مضغ طعامها؟

انتبه الجدُّ إلى حفيده المضطرب، بسبب الخواطر التي

كانت تردُّ بتواتر على عقله الصغير، فأوضح له الجد:

\_ إن قواطعها في حالة نموٍّ مستمرٍّ، أو يمكن أن يكون هناك اعوجاج في قواطعها، لذلك تجدها دائماً تقرضهما ببعضهما، من أجل أن تبقى قصيرة، أو لتقومَ الاعوجاج.  
\_ شكراً، فهمت الغاية.

حرّر الجد (سليمان) حنجرته من كتلة بلغم كان قد سدّها، قائلاً:

\_ وحتى تفهم أكثر، إنها تنمو مثل أظفارك باستمرار، وهي بحاجة إلى القصّ في جميع الأحوال.  
تمادى (ميكروب صالح) في أسئلته، وأصبح فضوله وتوقه للمعرفة أقوى، وسأل جدّه:

\_ متى ستلد الأرانب؟

\_ آه أنت مشتاق لتري الخرنق؟

\_ وما الخرنق؟

\_ صفار الأرانب.

ثم استطرده:

\_ إنها تلدُ بعد مضيّ أربعة وثلاثين يوماً، أو أقل على حملها، ولكن ما يهمني هو العدد.

\_ وكم تلد عادةً؟

\_ يمكن لأنثى الأرنب أن تلد من ٣ حتى ٢٠ أرنباً.

\_ ولماذا يهّمك العدد بالذات؟

\_ ما زلت صغيراً على معرفة ذلك يا بني.

لم ينبس (ميكروب) ببنت شفة، فكل ما كان يهمله فعلياً هو مصير الأرنبين، فهما لن يُذبحا من أجل طبخهما مع الملوخية، واليوم سيبدأ في إطعامهما، وتقديم المياه لهما، هذا ما سعى إليه جاهداً، أمّا هدف جدّه فكان غير معلّن.

ازداد (ميكروب) إهمالاً لدروسه وواجباته اليومية المترتبة عليه، وكانت غاية جهده الاهتمام بأرنبه، والانصياع لأوامر جدّه من دون أي اعتراض، بصفته جندياً صغيراً يشارك في معارك الحياة الطاحنة، يدرس فيها مخططات جدّه الانتقامية والثأرية ضدّ الآخرين، وقد أدت

جميع الظروف البيئية والاجتماعية التي كانت تحيط بالولد ابن الصف الثاني الابتدائي، إلى تكوين ملامح شخصيته المضطربة فيما بعد، وتكوّنت طريقة سلوكه المنحرف من خلال تعامله مع الآخرين.

\_ (ميكروب).

\_ نعم يا جدي.

\_ هيا بنا إلى الداخل.

\_ حاضر.

أنجز العمل في إكمال بناء الكوخ، وإقامة السياج من حوله، وقدمًا الطعام والماء إلى الأرنبين الضخمين، وقد تحققت غاية الحفيد البسيطة، أمّا غاية الجد (سليمان) العظيمة فلم تتحقق بعد، فكانت نفسه الظامئة تهفو وتتوق إلى تحقيق الثأر والانتقام من أهل قرية (تل الضجيج).

غاب يومين فقط - هذه المرة - الأستاذ (أحمد) عن المدرسة، على إثر الكمين الثاني الذي دبّره له، عندما وضعت له الضفدع في جيب معطفه الجديد الذي لم يفرح ويهنأ به كثيراً، فكانت آثارها عليه نفسية روحية أكثر منها جسدية كما وقع له في الكمين الأول الذي كاد أن يفقده حياته، عندما وضعت عقب سيجارة مشتعلة في جيبه.

عاد هذه المرّة محاولاً أن يخفي انكساره، ولكنني قرأت في عينيه علائم الخجل مما جرى له أمام الطلاب، فهل يُعقل أن يخاف الأستاذ (أحمد) الذي يملأ الصف هيبة ورهبة من ضفدع صغير حقير لا حول له ولا قوّة؟! لا شكّ في أنّ الطلاب ما عادت تهابه كالسابق، وكشفوا فراغه وخوآءه، فباتت تنطبق عليه مقولة: "أقوى الأصوات تطلقها الأواني الفارغة". نعم إنه فارغ من الإنسانية والرحمة والتواضع كطبل منفوخ مجوّف فارغ من الداخل، ولكنّه وأمثاله يطلقون

الأوامر والأصوات العالية ليسدّوا النقص ويعوّضوا الفراغ الداخلي لديهم.

وكما توقّعت سيعود أشرس من قبل، وأشدّ لؤماً ليردّ هيبته أمام الطلاب ويستعيد مكانته في قلوبهم، ولكنّه لا يعرف بعد مدى تفوّقي في تدبير المكائد، وابتكار أساليب الشرّ المختلفة؛ إذ بتُّ بارعاً في التخطيط لها، وصرتُ تلميذاً نجيباً في ذلك، فقد تلقيتُ خلال عامين -حينما سرقت الأرنبيين وما بعدها- تدريباتي الأولى على يد جدّي (سليمان) الأستاذ الكبير في مدرسة الحياة المنزلية، ونهلت تدريباتي الثانية من معلّم الشرّ والأذى أستاذي الجليل (أحمد) رمز اللإنسانية، وعهداً كلما فكر في التفنّن في تعذيبي، فسيكون ردُّ فعلي عليه موجعاً أكثر، وأقسماً برأس كلّ شرير في العالم، وأنا قائدهم الأعلى، أن أقف له بالمرصاد إلى يوم الدين.

كانتِ الحصة المحددة لهذا اليوم هي التربية البدنية، وكنت أعرف سلفاً أنني سأعاقب، وسيجعلني سخريّة للطلاب

كعادته، فأمثاله لا يجروون إلا على الضعفاء أمثالي ليخفوا  
عَوْرَ ضعفهم. ولكنني أيضاً كنت جاهزاً مستعداً للنيل منه،  
ومفاجأتي اليوم ستكون سارة وهزلية، عكس المفاجآت  
السابقة.

كان درس الرياضة يُقام في باحة المدرسة، يبدأ بالجري  
حول الباحة لمدة خمس دقائق، من أجل التحمية قبل البدء  
بممارسة التمارين الرياضية؛ إذ قسم الأستاذ التلاميذ إلى  
رتلين، رتل مؤلف من الطلاب، ورتل آخر من الطالبات، حتى  
ذلك الوقت كانت الأمور طبيعية، وكنت أركض وأتدرب مع  
الطلاب من دون أن يتخذني مادة للاستهزاء والسخرية،  
ولكنني لاحظت تركيزه عليّ وأنا أجري، يرمقني بنظرات غريبة  
ملئمة بالغضب، يا ترى هل يشكّ بأنني من دبّرت له  
المكيدتين السابقتين!؟

من هنا قدرتُ أنه يُضمّر لي الشرّ، وينوي أن يُذلّني  
أمام زملائي الذين يشاركونه في النّيل مني، فكنتُ مستعداً

لتنفيذ الخطة (ج)، مبدياً عدم انتباهي لنظراته، محاولاً ضبط أعصابي، مرتدياً ثوب الصبر، فالصبر هو مفتاح الفرج، ﴿وَكَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩﴾.

أطلق الأستاذ (أحمد) صفرة قوية ورفع يده إشارة إلى انتهاء التدريبات الرياضية، ونادى بصوت عالٍ:  
\_ شَكِّلُوا الصَّنْدُوقَ الْمَفْتُوحَ.

سارع التلاميذ إلى تشكيل صندوق بشري ناقص أحد أطرافه، ووقف الأستاذ القصير في الواجهة، كمنر جائع يتهاياً للانتقام، وكانت أشعة الشمس تغمر وجهه المحروق، فتراه مغمض العينين، وكما توقعت ترك المجموعة كلها واختارني أنا الوحيد ليسألني:

\_ (ميكروب) الزفت.

\_ أيوا.



\_ أيوا بنص عينك يا كلب.

ارتفعت من حولي نغمات شتى من السخريات اللاذعة  
والقهقهات المرتفعة، لن أعطيه هذه المرة المجال لكي  
يوقعني في الفخ الذي نصب شراكه لي، فقلتُ بِعجالة:

\_ حاضر أستاذ.

فقال لي:

\_ اذكر لأصدقائك التلاميذ بعضاً من الأقوال المتعلقة  
بالرياضة.

أجبت باعتزاز:

\_ العقل السليم في الجسم السليم.

\_ يا سلام.

قالها بسخرية، وهو منتفخ الأوداج، ولم يأمر الطلاب  
بالصفقة الثلاثية، ثم تابعت من دون أن يُؤدّن لي:

\_ إنني أرى في الرياضة حياة.

\_ اسكت يا حيوان من سمح لك أن تجاوب بدون إذن؟  
كانت الكرة بين يديه، فضربها بقوة على الأرض،  
فارتفعت إلى الأعلى، ثم نزلت هاوية بالقرب مني، والتقطها  
أحد الطلاب وأعادها له. وهذا أكد صواب حدسي بأنه غاضب  
مني تحديداً، وأبدى للطلاب أنه مرتبك ومتوتر للغاية. ثم  
أمرني بالتقدم إليه، فشرعت أخطو خطوات بطيئة مناجياً  
نفسي: يا ولد، لقد حان وقتُ بدءِ التعذيب النفسي والجسدي،  
وعليك أن تكون مستعداً له، وأن تستقبله بروح عالية ورحابة  
صدر، وصبر جميل، ووقفٌ أمامه مباشرة، فقال:

\_ سأعلمك أصول التربية يا قليل التربية والأخلاق.

قام الأستاذ برفع قميصي المدرسي الذي كنت أرتديه  
وكشف عن صدري العاري النحيل ذي الأضلاع البارزة، ثم  
وضع الكرة أسفل القميص، وحدجني بنظرة حمراء، تشع منها  
نيران لاهبة، قائلاً:

\_ (ميكروب) قف في وسط الصندوق المفتوح.

نفذت رغبته بكامل حذافيرها، من دون أي اعتراض،  
وقال المعلم المؤدّب (أحمد):

\_ الآن تبدأ جلسة نعت (ميكروب) بالصفات السيئة  
والقبيحة، وعلى كل طالب وطالبة منكم أن يصفَ هذا الحقير  
بصفة يراها فيه. ولنبدأ من جهة الطالبات. تقدّمتِ الطالبةُ  
(ليلي) إلى وسط الصندوق ناقص الضلع، وقالت:

\_ (ميكروب) العفن.

ثم تراجعت للخلف ذاهبة إلى مكانها الذي أتت منه،  
ومن بعدها تقدمت الطالبة (توبة)، فقالت:

\_ (ميكروب) أنت كومة قذارة.

وتراجعت إلى مكانها، وأفسحتِ الدورَ لغيرها من  
الطالبات، فجاء من بعدها دور الطالبة (عبير) التي تقدمت  
وهي تصنع طقساً خاصاً ومختلفاً عن بقية التلميذات؛ إذ  
كانت تضع إصبع السبابة مع الإبهام على منخارها الطويل،  
وقالت بازدراء شديد:

\_ (ميكروب) أنت كومة خراء .

وهكذا على هذا المنوال البشع، تواتت شتائم الطالبات  
وهنَّ يقذفنني بأقذع ما لديهنَّ من كلمات نابية وبذيئة، وكنتُ  
صبوراً جداً، بحيثُ كنتُ أنظر نحوهنَّ نظرة لا مبالاة وسخرية.  
ووصل الدور إلى الطلاب الذكور، وكان (عيسى) أوّل طالب  
في الصندوق المفتوح، فتقدّم نحوي وقال:

\_ أنت جَرَدَلٌ مليء بالبول الأصفر .

وتراجع إلى مكانه، ثم تقدّم نحو منصة العرض الطالبُ  
الذي بعده، وكان اسمه (حمامي)، فقال بلا معرفة لما يقول:

\_ (ميكروب) لا شكّ في أنك ابن زنى .

وتراجع إلى مكانه فخوراً، وتقدّم من بعده الطالب (عبد

المحسن) وقال:

\_ (ميكروب) أنت القيح الذي ينزّ من الجرح الملتهب .

وتوالت الإهانات حتى انتهاء آخر طالب في الصندوق  
وكنْتُ أنظر إلى المرَبِّي الفاضل وطلابه المحترمين بدهشة  
واستغراب!!

قديمًا كانوا يسمّون المعلّم مؤدّبًا؛ لأنه لا يكتفي بتعليم  
طلابه العلوم والفنون بل يعلمهم الأخلاق والأدب، وكان  
شعارهم: "علم بلا أخلاق كشجرة بلا أوراق"، فما قيمة العلم  
إن لم يُقرن بالأدب؟ وكانت أم الإمام (مالك) توصي ابنها  
وهو ذاهب ليحضر مجلس أستاذه (ربيعة) قائلة: "اذهب إلى  
ربيعة فتعلّم من أدبه قبل علمه". نعم يُفترض أن تكون  
المدرسة المقرّ الثاني لتزويد الطلاب بالأخلاق الفاضلة بعد  
الأبوين، والمدارس في بلادنا تابعةٌ إلى وزارة تسمّى (وزارة  
التربية)، وكانت قديمًا تسمّى (وزارة التربية والتعليم) ولأهمية  
التربية حذفوا كلمة التعليم واقتصروا على تسميتها بوزارة  
التربية، فأين أنت يا أستاذ (أحمد) من مهمّتك التي كلّفت

بها؟! ووا أسفاه على طلابك الذين تغرس فيهم الرذيلة والعداوة وتعلمهم مساوئ الألفاظ وتوافه القيم.

كنتُ أنتظر أن ينتهوا من سخرياتهم ليأتي دوري بعدها للانتقام من كبيرهم. فقسم الأستاذ (أحمد) بعدها الطلاب إلى فريقين، فريق الطالبات اللواتي ذهبنَ إلى ملعب كرة الطائرة، بقيادة الطالبة (عبير)، وفريق الطلاب الذين سيلعبون كرة القدم، بقيادة العريف (عادل نوري)، وقد وزّعهم على مجموعتين بالتساوي ليلعب كل منهم ضد الآخر، ولكن لا مكان لي بينهم، فقد خصّصني لأكون خلف المرمى، حيث أجلب لهم الكرات التي تخرج خارج الملعب، كنتُ صبيّ الخدمة عن حقّ في عين الأستاذ وبقية الطلاب، وكنت محروماً من اللعب واللهو، مهما تغدّد، فسأكون أعند منه، كنت أحترق من الداخل، أبكي بصمت داخلي، من دون أن أدرف دموعاً ظاهرة، وأبدي التماسك، كي لا يشمت بي أعدائي الكثر، ولكنّ عزائي الوحيد الذي يجعلني متماسكاً هو

ردُّ الانتقام بالمثل، فكان يخفّف عني هول المصائب التي  
تقع على رأسي.

ناداني الأستاذ من بعيد، وطلب إليّ أن أجلب له كرسيّاً  
من الصف ليجلس عليه ويراقب الطلاب اللاعبين، ها قد أتت  
الفرصة المناسبة للانتقام، وحدّث ما توقّعتُه، فاستعدّ أيّها  
الأستاذُ المحترم (أحمد) لمفاجأة جديدة.

كانت أرضيّة جميع الكراسي في المدرسة مجدولة من  
شرائط القش المثقوب، وكنت قد ابتعتُ علبةً من لاصق قوي  
للزوجة، من النوع الأجنبي الممتاز، وكنت قد أخفيتُ العلبة  
في دُرَج مقعد طاولتي الأخيرة، حيث يجلس غالباً التلاميذ  
الكُسالى غير النافعين في تحصيل العلم، توجّهتُ مسرعاً إلى  
الصفّ، وتناولت علبة اللاصق، ثم فتحتُ غطاءها، وسكبتُ  
كمية كبيرة على سطح الكرسي، كانت كافية للصق فيلٍ  
عملاق إن جلس عليه، من شدّة الفرحة كنت أحسّ أنني  
أطير بدلاً من المشي على قدمين؛ لأنني على شفا ردّ

اعتباري أمام التلاميذ، لكثرة ما لحق بي من إهانات عديدة، ثم حملت الكرسي وانطلقت به نحو الأستاذ، وقمت بوضعه خلفه، وهو شارد الذهن يتابع لعب الطلاب، وما إن تنحنحت حتى أحس بوجودي، ورفع يده إلى الخلف في إشارة منه لي بالانصراف، ثم تراجع خطوة وقعد على الكرسي من دون أن ينظر إليه، وعدت أدراجي وقلبي مفعم بالبهجة لما سيحلّ به حين يريد الوقوف.

ما أشدّ لحظات الانتظار! أصعبُ أمر على المرء أن ينتظر أمراً ما؛ فإنه يحسّ الدقيقة سنةً، وكذا كان حالي، كنت متلهّفاً أن ينتهي وقت الحصّة، وكنت أغلي على نارٍ هادئة، وبعد إحساسي بطول الزمن أطلق الأستاذ صافرته مُعلنًا انتهاء الوقت مشيراً إلى الطلاب ليجتمعوا أمامه، اجتمعنا مع سائر الطلاب أمامه، فحاول النهوض فلم يُفلح، كرّر المحاولة مراتٍ ومرات ولم يتمكّن، فالكرسيّ كان عالقا بمقعده، اربد وجهه واكفهرت سحنته، ولكنّ عزة نفسه



وجبروته منعاه من أن يعلن بشجاعة ما كان يجري له، ولكنّ التلاميذ كانوا جميعاً يرون محاولاته، وبات واضحاً لهم من الجنسين الذكور والإناث أنه عاجز عن النهوض، فبدت على وجوه الطلبة أمارات الدهشة والذهول والاستغراب مما يجري، ولكنّ الخوف من بطشه منعهم من الإفصاح عمّا في صدورهم من مشاعر متضاربة، ما بين مشفق عليه، وحاقد متشفّ بما حصل له، كنت واقفاً خلف الجميع، أراقب بابتسامة عريضة ما يحصل، وبعد إحساسه باليأس والعجز التأمّ عن التفلّت من الكرسيّ مدّ يده نحو الطلاب مستنجداً بهم، فتقدّم مجموعة من الطلاب بسرعة نحوه، جزءٌ منهم أمسك بيديه، وجزءٌ آخر أمسك بالكرسي، وراح كلُّ جزء يشدّ باتجاهه، وباتوا كفريقين يلعبان لعبة شدّ الحبل، ولكنّ من دون جدوى، فاللاصق تعشّق ببنتال الأستاذ ولم يعد بالإمكان فصله عنه.

وا ذلاه عليك يا أستاذ (أحمد)، صرت كالخرقة البالية  
بيد طلابك، بل غدت هيبتك في الحضيض، وغدوت مهزلة  
على لسان الطلاب، كنتُ مستمتعاً بكل لحظة تمرّ، ولم  
تفارق عيناى وجهه الشاحب العابس الذليل، كان مستسلماً  
تمام الاستسلام للطلاب، لا يتفوّه بأدى كلمة، يتنهد تنهيدات  
حارّة، لو وُجّهت نحو معدن لأذابته، كنت أتوقّع أن تجلب له  
هذه المصيبة إعاقة دائمة، أو سكتة دماغية يموت على  
إثرها، أعتقد أنه لن يخرج منها سليماً معافى، فقد يحتاج إلى  
معالجة نفسية تستغرق أعواماً، لم أشفق عليه للحظة، بل  
كنت أراه يستأهل أكثر من ذلك؛ لأنه تمادى في غيّه وطغيانه  
وإذلاله لي واستضعافي، فعليه أن يتحمّل جريرة أعماله القذرة  
التي فعلها معي.

ولأزيدة صغاراً وإذلالاً همستُ في أذن الطالبة (عبير)

التي كانت الأقرب إليّ وقلت لها:

\_ يا (عبير) لإطلاق سراح الأستاذ عليكم أن تجردوه  
من بنطاله.

\_ نعم نعم أيها المعتوه؟؟

\_ أجل، هذا هو الحلّ الوحيد لإبعاد الكرسي عنه.

\_ حقاً إنها فكرة رائعة.

فهمست (عبيرُ) في أذن الطلاب:

\_ عليكم أن تجردوا الأستاذ (أحمد) من بنطاله قبل أن

يتمزّق من شدّة الشدّ.

قالوا بدهشة:

\_ ماذا؟

لم يجرؤ أحدٌ على تنفيذ اقتراحها، ولكنها أكدت لهم:

\_ كما أقول، فلا يمكن تحريره من الكرسيّ إلا بهذه

الطريقة.

استساغ الطلاب الفكرة، واقتنعوا بأهميتها، فتراجعت الطالبات إلى الخلف، وأفسحن المجال لتقدم الطلاب الذكور نحو الأستاذ، وسرعان ما فكوا حزامه الجلدي، وأخرجوه من البنطال. خرج الباشا (أحمد) شبه عارٍ من نصفه السفلي، إلا من سليب من نوع رديء، وأحاط به كوكبة من الطلاب الذكور طوال القامة ليسـتروه، ورافقوه إلى الإدارة، وعادوا جميعاً إلى الصف. أطلق أغلب الطلاب قهقهات وضحكات شاهقة، وبعضهم كانت عيونهم تدمع على ضياع هيبة الأستاذ وعلى هيئته المزرية، وكانوا يتهامسون فيما بينهم خوفاً من عيون الأستاذ المدسوسة بينهم، وكان بعضهم يقول: إنه غضبٌ من الله، بسبب ما كان يفعله في حياته من ذنوب ومعاصٍ لا تُغتفر، كنت منتشياً ومتخماً من السعادة بسبب ما آل إليه وضعُ أستاذنا الحبيب، حقاً كانت تشبه مسرحية مدرسة المشاغبين، ويمكن أن تكون أكثر إمتاعاً لو

مُثِّلَتْ وَعُرِضَتْ عَلَى شاشَاتِ السِّينِمَا كَمَسْرُحِيَّةٍ كُومِيْدِيَّةٍ، وَمَا  
هُوَ آتٍ سَيَكُونُ أَعْظَمَ.



بعدَ مضيِّ سنتينِ على بناءِ كوخٍ للأرنبيين اللذينِ سرقتهما حينما كنتُ في العاشرةِ من عمري ولدت ولاداتٍ كثيرةً، وتنامى عددها، وأصبحت كثيرة يصعبُ إحصاؤها، وكانت كلها متشابهة ذات فراء أبيض وعيون حمراء.

وقف (ميكروب) مع جده مساء ذلك اليوم، أمام سياج الغربول الشبكي، وكانا يراقبان تلك الحيوانات، وهي تأكل الحشائش الطازجة بنهمٍ، وتشرب المياه من نصف ثمرة القرع اليابس، كان الحفيد مغتبطاً ومسروراً جداً، لمرآى حيواناته الودية، أما الجدّ فكانت نظرائه تشعُّ لؤماً وخبثاً.

تابع الاثنان تأملهما، وكلٌّ في داخله خفايا ومخططات، فالجدّ عازم على أمر خطير، أما الصغير فكان يستمتع بمراقبة كلِّ حركة تصدر من الصغار، وكان يتابع حركات أبويها أيضاً، ويتمنى من كلِّ قلبه أن يتركه جده يبيتُ ليلته هذه في العراء أمام السياج حتى الصباح مع هذه المخلوقات

اللطيفة، إنه حلمٌ يصعب أن يتحقق حالياً بوجود جدّه، ولكنّ عزاءه الوحيد أنّه يقضي طوال يومه معها، ويراها في أحلامه ليلاً، وكان يتمنّى أن يكبُرَ بالعمر ليصبح هو المسؤول عن أموره وتصرفاته، عندئذٍ سيدعو مجموعة حيواناته الصغيرة مع أبويها للعيش في ضيافته الدائمة داخل منزله المتواضع، وسيقاسمها فراشه القشّي الذي ينام عليه، وإذا لم يتسع الفراش لجميعها فهو مستعدٌّ أن يبات على الأديم ليهبها مكانه.

ولفت انتباه الصغيرِ عدمُ ظهور أكثر الأرانب من خلف سياج الغربول، فقطع شرود جدّه منادياً:

\_ جدي.

\_ أيوا.

إنه الرُدُّ ذاته الذي كان (ميكروب) يرده عندما يناديه الأستاذ في المدرسة، يقول له: أيوا أستاذ، فيوتّخه عليها، وينهره على ترديدها لأكثر من مرة، فيقول له: قل حاضر يا



جحش. الآن عرفنا سرّ رده هذا، فهو لم يقتدِ بسلوك معلمه  
الأول فحسب، بل بلّغته ولهجته أيضاً.

\_ جدي، دائماً لا أرى الأرناب داخل السياج الغربولي،  
أين تختفي؟

ابتسم الجدُّ ثم قال:

\_ تبقى في الأنفاق التي حفرتها تحت الأرض.

\_ أية أنفاق؟

\_ دعني أوضح لك. ألا تراني كلَّ يوم أنقل تراباً من

داخل الكوخ إلى الخارج؟

\_ بلى، وكنت أسأل نفسي مستغرباً: من أين يأتي هذا

التراب؟

\_ إنّ الأتربة التي أجمعها من داخل السياج تأتي من

الحفريات.

\_ أية حفريات هذه؟

\_ حفريات الأرانب، فالأرانب تحفر أنفاقاً تحت الأرض  
وتجعل لها عدة فتحات لتسهل الهرب من الحيوانات  
المفترسة لها.

\_ سبحان الله الذي هياً لكل مخلوق وسيلة لحماية  
نفسه من أعدائه!

\_ أحسنت القول أيها التلميذ النجيب.

وتابع الجدّ الحديث مع نفسه ولكن بصوت مسموع:

\_ عملُ الأرانب متواصل في حفر الأخاديد كما أريدُ،  
وأعتقد أن العمل قد شارف على الانتهاء بهذا المشروع  
الجهنمي الضخم.

\_ أية مشروع تقصد يا جدي؟

صمت الجدُّ قليلاً، ثم أجاب بتردد:

\_ مشروع حفر الخنادق تحت بيوت القرية الآمنة.

\_ ما الغرض الذي تسعى إليه يا جدي؟

\_ الانتقام.

\_ ممّن؟

\_ من هؤلاء الأهالي الأغبياء السّدّج.

حتى تلك اللحظة لم يكن الأمر واضحاً للصبي  
(ميكروب)، ولم يكن يدري الغرض الأساسي من سرقة  
الأرنبيين، وبناء الكوخ والسيّاح المحيط به، والولادات الجديدة،  
وها هو الآن جده (سليمان) يصارحه بنصف الحقيقة،  
ولتجلية الأمر تابع الصغير أسئلته لجده ومعلمه ومربيه  
(سليمان) قائد الإنس والجنّ:

\_ وماذا تنوي أن تفعل يا جدي بعد أن تنتهي الأرناب

من حفر الخنادق الأرضية؟

عبث الجدّ بلحيته البيضاء الكثّة، ثم هرش قليلاً في  
رأسه العاري من أيّ غطاء، وقال:

\_ (ميكروب) بعدّها سنقوم بجلب كمية من مياه الجب،

ثمّ نصبّها في السرايب التي حفرتها الأرناب.

\_ ستموت جميع الأرناب يا جدي، وهي في السرايب الأرضية. قالها الصغير مضطرباً خائفاً على أرنابه.

\_ ملاحظة ذكية منك يا حفيدي. لا تقلق، قبل البدء بعملية صب الماء في المجاري الأرضية سنجمع الأرناب داخل غرفة الدار.

هذا ما كان يتمناه (ميكروب) في حياته، أن يجتمع شمله مع شمل حيواناته الرقيقة، في غرفة المعيشة التي يعيش فيها.

\_ وما الهدف النهائي من وراء ذلك كله؟

\_ هدم بيوت القرية على رؤوس ساكنيها.

أصبحت الغاية جليّة واضحةً للصغير (ميكروب)، وقد جاء وقت كشف الجدّ لجميع أوراق الانتقام على الطاولة؛ الانتقام من أهالي قريته، ولا سيّما الأقرباء الجبناء الذين لم يقفوا معه في المصيبة الكبيرة التي حلت عليه، حينما قُتلَ ابنه (صالح) أبو حفيده (ميكروب)، وهل يشفي غليلَ الجدّ

(سليمان) تدمير بيوت الأهالي فحسب؟ هذا مستحيل، فالناقم  
الثائر ماضٍ في تنفيذ مخططه الانتقامي حتى الأخير،  
فالضغينة باتت جزءاً لا يتجزأ منه، يحملها في داخله لكل  
الناس، حتى لحفيده الوحيد الذي يستعمله كوسيلة لتنفيذ  
أعماله الشريرة، فأقسم الجدُّ إنه كلما انتهى من عمل  
انتقامي، فسيقوم من بعدها بعمل آخر، وبمعاونة ساعده  
الأيمن (ميكروب) الذي علّمه فنون اللصوصية وضروب  
الشرّ، فهذا ما انكشف للصغير في الوقت الحالي، وما خفي  
أعظم.



كان غياب الأستاذ بعد الحادثة الأخيرة، عند التصاق قفاه بالكرسي الخشبي، قد أدى إلى تدهور حاد في مزاجه وحالته النفسية، فطلب استراحة لمدة خمسة عشر يوماً، فأدركتُ يومها أنه تأذى كثيراً، أو ربما يطيل غيابه، ليخطط لعمل انتقامي مني، ولكي يرد هيبته المسحوقة أمام تلاميذ الصف، لا أحد يفهم ما الذي يجري بيني وبينه، فأنا متأكد هذه المرة أنه لو عاد فسينتقم مني شرّ انتقام، وكان حدسي العين يُنبئني -وعسى أن أكون مخطئاً- أنه سيضربني الضربة القاضية، وسيُنهي الجولة الأخيرة لصالحه في الصراع الدائر ما بيننا.

كلّفوا مدّة غيابيه عن المدرسة آنسةً لثُدّرنا بدلاً عنه، وفي هذه الأثناء حدث معي أمر غريب ربما يصيب الأولاد الذين هم في سنّي، سنّ الانتقال من الطفولة إلى المراهقة، لقد شعرتُ بانجذاب شديد نحو صديقتي الطالبة (عبير) التي

همستُ في أذنها ذلك اليوم السعيد مقترحاً أن يحرّروا الأستاذ (أحمد) من بنطاله الملتصق بسطح الكرسي. وكان قلبي يزداد خفقاناً كلما رأيتها أو سمعتُ صوتها، لقد تعلّقتُ بها كتعلّقي بأرانبى الحبيبة، وعندما كان يأتي وقت النوم، كان طيفها يشاطر طيف أرانبى، أتقلب يميناً فأتخيل أرانبى أمامي، وأتقلب يساراً - حيث القلب - فيزورني طيف (عبير)، كنتُ أنظر إلى الأشياء فتتحول مباشرة إلى (عبير)، كانت جميع الفتيات في التلفاز عندما أشاهدنّ، تتحول صورهنّ منقلبة إلى صورة (عبير)، وفي المدرسة كلما مررتُ بواحدة من الطالبات الأخريات، لا على التعيين، كانت تتحوّل إلى (عبير)، جميع الأنسات والمدرسات كُنَّ يتحوّلنّ إلى (عبير)، حتى التماثيل والجمادات من صور الفتيات في الكتب كانت تتحول تلقائياً إلى (عبير)، الكون كله أصبح في نظري (عبير)، جميع الكواكب الشمسية، جميع النجوم مع جميع المجرّات الأخرى تحوّلت إلى (عبير)، لقد أصبْتُ بداء عضال،



اسمه داء العبير، هذه لعنة حَلَّتْ بي، وأحسُّ أنني قد أمسكتُ  
من اليد التي توجعني، (عبير) هي مُصِيبتي، (عبير) هي  
محنتي التي لا أعرف لها حلاً، لقد وقعتُ في بحر الحبِّ وأنا  
أجهل العومَ، في مدة وجيزة.

ولأتقربَ منها سألتها أن تعيرني كتاب القراءة لنقل  
المطلوب لامتحان مادة اللغة العربية وحلّ الأسئلة كونها  
متفوّقة. بصراحة لم تكن لي نيّة صادقة أن اقرأ فيه، من أجل  
التحضير لامتحان الذي بات وشيكاً على الأبواب، كما يفعل  
سائر التلاميذ، بل كان لي هدفٌ آخر من الاستعارة، هو أن  
أشتمّ من خلاله رائحة (عبير)، وأن أجد حجة للحديث معها،  
بل إنني عزمْتُ أن أفصحَ لها عن مشاعري التي تولّدت فجأة  
نحوها، فرسمتُ صورة قلب يخترقه سهم (كيوبيد) الأعمى،  
وعلى طرفي السهم نقشتُ حرفين فقط، الأول (م) من اسمي  
(ميكروب)، والثاني (ع) من اسمها (عبير)، ولكنني لم أكن  
أجيد القراءة والكتابة جيداً، ليس لقلة ذكائي التعليمي أو

لتخلف ذهني حاد، إنما كان الأمر متعلقاً بالإهمال والتقصير ليس إلا، وعدم اهتمام جدي (سليمان) بتعليمي المدرسي، وانصرافه إلى تنفيذ مخططاته الانتقامية والثأرية ضد أهل قرية (تل الضجيج).

أعدتُ الكتاب إلى (عبير) بعد يومين، وقُيِّل امتحان اللغة العربية، وشكرتُها على تعاونها ورحابة صدرها، وتخليها عن كتابها ليومين على الرغم من اقتراب موعد الامتحان، فردت عليّ بحياءٍ وخجلٍ أذاباني، وكنت قد وضعت الورقة داخل ظرفٍ ودستها داخل الكتاب المُعاد.

جاء اليوم الموعود الذي انتظرته بفارغ الصبر، ها قد عاد الأستاذ (أحمد) إلى المدرسة مع أول يوم من الامتحان، وكان الامتحان لمادة اللغة العربية. كان الشحوب بادياً عليه في ذلك اليوم، ومع دخوله القاعة هرع الجميع مهئين عودته بالسلامة إليهم، باستثنائي أنا، كنتُ مهتماً بمراقبة الأستاذ الحاد المزاج، وهو يرحب بالطلاب جميعاً، ويبادلهم

التحيات الحارة، رأيته من طرف عيني، كان الشرر يتطاير  
من عينيه، وبعد الانتهاء من مراسم الاستقبال جلس كلُّ  
طالب في مكانه استعداداً لبدء الامتحان.

وقبل أن يوزع علينا الأستاذُ (أحمد) أوراق الامتحان  
صاح بصوت عالٍ:

\_ ماذا قال رسول الله ﷺ عن الغش؟

فردّد جميع التلاميذ بصوت واحد وقوي، هزّ أرجاء  
القاعة:

\_ "من غشنا فليس منا".

ثم أعقبه بكلام آخر، وبنبرة أكثر تهديدية، ومعنفة  
قائلاً:

\_ إذا أمسكت بقصاصة ورق مع أحد منكم، وهي  
متعلقة بأسئلة المادة، أو قام بفتح كتاب القراءة، أو إذا  
حاول أن ينقل من صديقه الذي يجاوره، فسيحصل على  
علامة صفر بالتشابه لا محال.

أضاف أيضاً:

\_ فلا عذر لكم بعد هذا الانذار.

ساد صمت كلّي، فبدأ يوزّع الأسئلة على الطلاب،  
وحينما وصل إليّ رمقني بنظرة غاضبة أدخلت رعباً حقيقياً  
إلى قلبي، فبتُّ أستمعُ إلى وجيب قلبي الذي كان يخفق بقوة،  
متعجباً ما الذي أصابني؟! في كل المرات السابقة، لم أكن  
أحسب حساباً له، ولم أخف منه أبداً، كنتُ أردّ عليه الصاع  
بصاعين.

وحينما انتهى من توزيع الأوراق قال:

\_ فلتبدؤوا بالكتابة.

لقد ترك مراقبة القاعة كلها، وتفرّغ لمراقبتي فقط، وكان  
يحوم حول طاولتي علّه يمسك دليلاً معي، أغشّ من خلاله،  
ولكنني كنتُ واثقاً من حالي من هذه الناحية، فحسبتُ  
حسابي لأقلّ هفوة تصدر مني، فأنا على شفا حفرةٍ من نار،  
ستلتهمني بلسعة واحدة من لسعاتها، أعرف أن الساعة آتية

لا ريب فيها، كما أعرف أن نهايتي باتت وشيكة في هذا اليوم المشؤوم.

تقدّم الأستاذ نحوي، وسحب ورقة الامتحان من أمامي ورفعها عالياً، ثم قام بنفضها، وهو متوتر للغاية، يبحث عن حجة، تكون تهمة دامغة ضدي، فلم يجد ضالته لديّ، ثم وضع الورقة ثانية أمامي، ونظراته المضطربة هي هي لم تتغير، من لحظة دخوله إلى قاعة امتحان مادة اللغة العربية. انقضى الامتحان، وقد أجبتُ بما أعرف، وجمعت منّا الأوراق، وبدأنا بمغادرة الصف وعيني الأولى على (عبير) والأخرى على الأستاذ، وفجأة رأيت الطالبة (عبير) تتجه نحو الأستاذ، يا للقدر يجتمع أحبّ الناس إلى قلبي مع أبغض الناس إلى قلبي!! يا للهول! لمحتُ (عبير) تسلّم الظرف الذي وضعته في كتابها للأستاذ (أحمد)، يا لها من فرحة لم تكتمل، كنت على وشك الخروج وقلبي يتراقص فرحاً لأنه مرّ اليوم ولم يوجّه لي الأستاذ أيّ ملاحظة، وكنت عازماً أن

أنتظر (عبير) لأقيّم ردّة فعلها، وها قد حانت لحظة الانتقام المناسبة للأستاذ، فقد صار بين يديه دليلٌ كافٍ لإدانتني، وإلحاق الأذى بي، إنه الحجّة التي ستصل برقبتي -مثل دوستوفسكي- إلى حبل المشنقة. ما تراها قالت له؟ وما تراه سيفعل؟ كان يمسك بالظرف بقوة وكأنه يحتضن في حجره كنزَ (جيم) الذي حصل عليه في "جزيرة الكنز"، ثمّ فتح الظرف وأخرج الورقة وراح يتأملها والابتسامه باديه على وجهه المقيت، عرفتُ في الحال أنه كان ينظر إلى سهم (كيوبيد)، بدأ قلبي يرتعش، وزادت خفقاته، فقد انتابني شعور لحظتها أنني هالك، وقعتُ ومصيبتني كانت كبيرة للغاية، فحاولتُ التسلّل بين الطلاب للهرب، وفجأة ناداني الأستاذ (أحمد) بثقة لا توصف، قائلاً:

\_ (ميكروب)، تعال إليّ، لقد وقعت أخيراً في قبضتي

أيها الحقير.

ثم قبض على ذراعي النحيف، وجرتني خلفه إلى المدير، وهناك في الإدارة، وبخني المدير على مرأى الطالبة (عبير)، ولم يستجوبني قط، بل قام بتحرير تقرير كتابي إلى وزارة التربية تضمّن توصيفاً للحادثة، وأرفق به الظرف مع الرسالة الغرامية، دليل العشق الدامغ، وأحيل التقرير إلى الوزارة. نظر إليّ الأستاذ (أحمد) نظرة استهزاء وقال لي بغرور:

\_ انصرف أيها القدر، وانتظر عقوبتك القادمة.

عدتُ أدراجي إلى البيت قلقاً خائباً؛ إذ افترض أمرى أمام الجميع، وخاب أمني بحبيبتى (عبير)، ولما رأني جدي حزيناً مهموماً ظنّ أنّ السبب هو عدم تقديمي جيداً لمادة اللغة العربية، فبادرني قائلاً:

\_ لا تحزن يا بنيّ، عساك أن تعوّض في مواد أخرى.

دخلتُ غرفتي يائساً، واستلقيتُ في فراشي، من دون أن أتناول لقمةً من الطعام، وحاولت النوم لعني أنسى ما بي

وأجتاز هذه المحنة القاسية المزدوجة؛ خسارة الحبيبة،  
وشماتة الأستاذ (أحمد) بي.

وتوالت أيام الامتحان، وذهني مشوّش، أدخل المدرسة  
مطرقاً رأسي، وأنصرف بهذه الحالة، وأسمع همسات الطلاب  
فيما بينهم وسخرياتهم بي، فهذا يقول: "انظروا إلى ذلك  
العاشق الكسول". وآخر يقول: "يا للمسكين! إنه حزين على  
فراق حبيبته فراقاً أبدياً". وثالث يقول: "يا له من عديم  
للأخلاق..."

وفي اليوم الأخير من الامتحان جاء كتاب من الوزارة،  
إلى مدرسة (تل الضجيج)، رداً على كتابهم المرفوع ضدي،  
وفي الدقائق الأخيرة من الامتحان، صاح الأستاذ (أحمد)  
بصوت عالٍ مذهياً:

\_ انتبهوا إليّ يا طلاب، سأتلو على مسامعكم كتاباً  
وزارياً مهماً بخصوص زميلكم الوحيد (ميكروب).



ورفع الكتاب الوزاري بيده اليمنى عالياً وراح يقرأ

مبتسماً:

إلى مدرسة (تل الضجيج)

بناءً على تقريركم المرفوع بخصوص الطالب (ميكروب

صالح ويكي)، وبعد الاطلاع على المرفقات، قرّرت الوزارة

فصل الطالب (ميكروب) من مدرسة (تل الضجيج)، بسبب

سوء سلوكه مع زملائه.



بعد حفر الأرناب للأنفاق الكثيرة تحت بيوت القرية الصغيرة، وبعد العمل الدؤوب من الجد وحفيده (ميكروب)، في ملء الحفر والأخاديد الأرضية بالمياه، أخذت أغلبية جدران بيوت القرية تتصدع بشروخ عريضة، وحرار أهل القرية في سبب هذا التصدع، فمنهم من ذهب إلى أن سببه هو تلك الهزة الأرضية الخفيفة التي وقعت من مدة قريبة ولم يشعر بها أغلب سكان القرية، وعزا فريق آخر يرأسه الشيخ (زعتر) سبب ذلك إلى غضب الله على الأهالي؛ ذلك أن أغنياءهم لا يتصدقون على فقرائهم، وردّ البعض السبب إلى أنّ أرض القرية ترابية خصبة وليست صخرية... وتنوعت الأقاليم وكثرت، لكنّ الجدّ وتلميذه، ظلّا مستمرّين في تدبير مكائدهما الجديدة، ليقوعا السوء والضرر بأهل القرية.

وفي آخر يوم من شهر (ديسمبر) المشهور ببرده الشديد وأمطاره الغزيرة صحا الجدّ باكراً، وتقدّم نحو النافذة

يتأمل الطقس خارجاً، فعلت وجهه ابتساماً صفراء، والتفت  
نحو حفيده النائم وصاح بصوت مرتفع:

\_ (ميكروب) يا ولدي.

فتح الصغير عينيه مذعوراً مدهوشاً وقال بحماسة:

\_ نعم يا جدي، ماذا تريد مني؟

\_ هل أنت جاهز الليلة لتنفيذ مهمة خطيرة؟

\_ آية مهمة؟

\_ مداهمة جميع خِمْة الدجاج في القرية.

أبدى الصغير استعداداً سريعاً، وقال:

\_ بكلّ سرور.

\_ إذا انهض واغسل وجهك لتصحّ وتركز انتباهك

فيما سأقوله لك.

اجتمع المخربان بعد قليل، استعداداً لرسم الخطة

المزمع تنفيذها بحلول فجر اليوم الجديد من العام الميلادي

الجديد، وراح الجدُّ يوضِّح لحفيده خطَّته، ويشرح له ما عليه فعله بدقة لضمان نجاح الخطة. ومع حلول المساء بدأ الجدُّ يذرع أرضَ الغرفة ذهاباً وإياباً، سائلاً حفيده:

\_ هل فهمت جيِّداً ما أنت مُقدِّمٌ عليه؟

\_ بالطبع يا جدِّي.

توقَّف جدُّه عن المشي، وتقدَّم نحو النافذة مُجدِّداً، وكان ينظر نحو الخارج، لكي يطمئنَّ على أحوال الجو؛ لأنه كان يخشى من هطل الأمطار التي تُعيق المهمة أمام (ميكروب) الشرير الصغير، فاغتنب الجدُّ جداً، حينما رأى السماء خالية من الغيوم، تزيّنها النجوم المتألّثة، فتأكد أن الأحوال الجوية مستقرة تماماً، وقال لحفيده:

\_ بعد مُضي ساعات قليلة من الآن، ستبدأ لحظة

الهجوم والانقضاض على كل البيض في خِمة الدجاج في بيوت القرية جميعها.

أجابه (ميكروب) المدمر:

\_ لديّ اقتراح وتعديل على الخطة.

\_ وماذا تقترح أيها العبقريّ؟

\_ لماذا لا نحضر الدجاج، مثلما أحضرنا الأرنبين من

قبل، ونبني له خماً، ونحصل على بيضه أيضاً؟

ضرب العجوز بكلتا يديه على رأسه الحاسر، وقال:

\_ غبيّ أبله، مثلُ أبيه.

\_ ماذا تقول؟

\_ لا شيء.

وأضاف الجد:

\_ إذا أحضرنا الدجاج بطريقتك، في هذا الليل البهيم،

فإنّ الدجاج سيثير ضجيجاً وصخباً عالياً يوقظا جميع أهل

قرية (تل الضجيج)، ونحن بغنى عن هذا الضجيج، ونبحث

عن لحظة واحدة من الراحة النفسية والجسدية.

\_ معك حقّ يا جدّي، فانتني هذه النقطة.

كان هناك صندوق في زاوية الغرفة، تعود ملكيته إلى الأيام الأولى من زواج الجدة (خولة). توجه الجد متحمساً نحوه، وشرع بفتح غطاءه، فأصدرت مفاصله الصدئة صريراً، ومدّ يده إلى داخل الصندوق، وأخرج عصاً مدببة الرأس، غرست فيها دبابيس ملونة، وصار الجد يضرب برأس العصا في راحة كفه الثانية، فشحب وجه الصغير خوفاً ورعباً منها وبادر جدّه على الفور بالسؤال:

\_ ما هذه يا جدي؟

فقال الجد (سليمان) متباهياً بعصاه:

\_ سلاح أبيض، ليعينك على تنفيذ المهمة الموكلة إليك.

\_ لا أفهم.

\_ لا تتعجل.

وأضاف:

\_ هل ضربت أحداً بالعصا من قبل؟

لوى (ميكروب) سريعاً بشفته السفلى الرقيقة قائلاً:

\_ كلا.

\_ إذا دعني، أضعك في الصورة أولاً، هناك ثلاث

مناطق في العصا، رأس العصا، ووسطها، والمؤخرة أو  
القبضة.

\_ أعرف هذا يا جدي.

هزّ الجد رأسه بعصبية، وقال له:

\_ أرجوك لا تقاطعني، لم أنته بعد كي تردّ.

وأشار إلى منتصف العصا، وكان (ميكروب) يصغي

جيداً، ليتعلم منه طريقة استعمالها في تنفيذ مهمّته  
التخريبية، وحذّره قائلاً:

\_ لا تمسك العصا من المنتصف يا ولد.

\_ لماذا؟

\_ كي لا تكون رمادي اللون كشعرة معاوية.



\_ لا أفهمك.

\_ هذه أمور سياسية، يلزمك الكثير لتفهمها وتتعلمها.

\_ ومتى تعلمني؟

\_ عندما ترغب أنت، وتكبر على الأقل.

وأتى الجد بعدد من بيض الدجاج، ووضعها في صحن فائش، وطلب إلى حفيده القيام بتسديد رأس العصا إليها، وبضربات سريعة ومنتالية، تم تهشيمها واختلط المح بالآح والقشر، فأصبحت وجبة جاهزة للقلي، عشاء ذلك اليوم، وخلال أقل من ساعة تعلم (ميكروب) أصول العمل، فقال له  
الجد:

\_ أحسنت صنيعاً يا ولدي. خذ قسطاً من الراحة،

واستعدّ لتنطلق عند إعلان صافرة بدء الهجوم.

مع بلوغ الساعة الثانية من بعد منتصف الليل، دنا

الجد من حفيده الراقد بحذر، وطبطب على كتفه قائلاً:

\_ هيا انهض حانت ساعة الصفر.

استلم المدمر الصغير عصا الجريمة أو السلاح الأبيض من جده المعلم الداھية، وانطلق تحت أضواء النجوم، كي يقوم بالمهمة المسندة إليه دون خوف، وكان الجد يتربّب بقلق عودة حفيده مظفراً بالنصر، وكان يحس اللحظات ساعاتٍ طويلة، وهرع إلى خُمّ دجاجاته وقام بتكسير جميع البيض الموجود فيها، حتى لا يثير الشبهات من حوله، وليوهم الجيران بأنه مثلهم تعرّض للهجوم.

وبعد مضيّ ساعة كاملة متواصلة من انتقال الصغير السريع من خُمّ إلى آخر، وتكسير ما فيها من بيض، عاد البطل مزهوّاً من دون أن يترك وراءه أثراً يدلّ عليه، مبشّراً جدّه بنجاح العملية، وبانتقامه مرة أخرى من أهل قرية (تل الضجيج) الجبناء. فعانقه جدّه الماكر، وشكره على حسن بلائه، وأمره أن يخلد للنوم.

وفي صباح اليوم التالي من تنفيذ العملية الإرهابية،  
زارتهما جارتهما (أم غافل) وأخبرتهما أن جميع البيض  
عندهم قد تعرّض للكسر، فقال لها الجدُّ بأسف شديد:

\_ انظري يا جارة، لستِ وحدكِ التي تعرّضتِ إلى هذا  
العمل الجبان، من قِبل الثعالب الماكرة، ونحن أيضاً تكسّرت  
بيوضنا.

\_ لقد تعرّض بيض الدجاج في القرية كلها إلى العبث  
والكسر، ولسنا الوحيدين المتضررين من جراء ذلك يا جارة.  
أجاب الجد (سليمان) متباهياً أمام جارتها التي أخذت  
تواسيه:

\_ لو لم أكن نائماً لخنقتُ تلك الثعالب الكريهة بيديَّ  
هاتين، من دون أن أستعمل السلاح.  
ثم ابتسم وأضاف:

\_ أشكرك يا جرتي العزيزة وقوفك بجانبنا في هذه  
المحنة التي أصابنا كُننا، وعسى أن نردَّ لك ذلك الجميل في  
يومٍ ما.

كان (ميكروب) المدمر واقفاً معهما، لا يتحدث بكلمة،  
يستمع إلى الحوار الدائر بين الاثنين، وكان ينظر بدهشة  
إلى جده الماكر الذي يرمقه بنظرات تهديدية أوحى له  
بضرورة التزام الصمت، خشية أن يُفصح عن شيء يدلّ على  
أنه هو الفاعل.

-12-

\_ (ميكروب).

\_ نعم.

\_ لقد مضى أسبوع على عيد ميلادك، ماذا تريد أن  
أهديك؟

فكر (ميكروب) قليلاً، ثم أجب:

\_ كرة قدم.

\_ جحش بن جحش.

ابتسم (ميكروب) وهو يسأل جده:

\_ هل أنا مُخطئ؟

\_ نعم، أنت مُخطئ.

\_ لِمَ؟

مسّد الجذُّ شعر حفيده المجدد برفق، قائلاً له:

\_ ارفع من سقف طلباتك.

\_ كيف؟

\_ غبي، قُل مثلاً: درّاجة هوائية.

تهلّل وجهه الشّرير الصغير بشراً وسروراً، وقفز عالياً  
في الهواء صارخاً، بأعلى ما لديه من صوت:

\_ درّاجة هوائية؟! ولكن لا توجد دراجات في القرية،  
سوى للكبار فقط.

\_ وأنت في نظري كبير يا ولدي، وما أسنّده إليك من  
أعمال لا يقوم به إلا الكبار.

\_ أريدها حمراء اللون.

\_ أبشر أيها العاشق.

لم يكن الأمر برمته إلا مكيدة من مكائد الجد الشيطان،  
فلم تكن غايته إسعاد حفيده وإدخال السرور إلى قلبه،  
وتعويضه حنان الأب والأم، بل كان من ورائها هدفٌ آخر،  
يتبع لسلسلته الانتقامية من أهل القرية، فهو بشرائه الدراجة

لحفيده أولاً يحفّز اللصّ الصغير على تنفيذ طلباته، وثانياً  
يخلق فتنة بين صبيان أهل القرية وآبائهم.

وثب الصغير وثبةً طويلة في الهواء وقبّل بلمح البصر  
خدّ جدّه، وقال له:

\_ أحبّك كثيراً يا جدي.

ومضى (ميكروب) إلى فراشه، وبدأت تراوده أحلام  
اليقظة، فتصوّر نفسه وهو يدور بدراجته في أزقة القرية،  
وأعين أولادها ترمقه بظماً وغيرةً، وبالفعل لم يكن الجدّ يكذب،  
بل كان صادقاً بقطع وعده لحفيده في إهدائه الدراجة الهوائية  
الصغيرة، فراح يقودها بين أحياء القرية، وعيون الصغار  
تتابعه باندهاش وحسرة، وحاول بعضهم اللحاق به، فزاد  
سرعته وهم منطلقون خلفه يطلبون إليه أن يركبهم خلفه،  
وبعضهم يسأله أن يسمح له بأن يجرب قيادتها، ولكنّه لم  
يعبأ برغباتهم -بناءً على وصيّة جدّه- وبهذا أطلق  
(سليمان) قنبلته من العيار الثقيل بين صبيان القرية وذويهم،

ف عندما حل المساء ، واجتمع شمل العوائل حول مائدة العشاء ، أخذ الأبناء يطلبون من الآباء أن يشترخوا لهم مثل ما عند (مكروب) ، ما أدى إلى نشوب حرب حقيقية ، وظهر خلاف حاد بين جماعة المطالبين وجماعة الراضين ، وقاموا بضرب أبنائهم المتمردين وزجرهم ، بسبب عدم تمكنهم مادياً من شرائها ، وامتد الخلاف أيضاً إلى الأمهات اللواتي دافعن وبشدة مُستميتة عن أولادهن المُهانين ، ضدّ قسوة الآباء واعتداءاتهم بحقّ أبنائهم الصغار الذين لا يعرفون معنى قلة الحاجة ، وبهذا لم يخلُ بيتٌ واحد في تلك الليلة في القرية ، إلا واشتعلت فيه نار الخلاف والفتنة والانشقاق بين صفوف أفراد الأسرة الواحدة .

أمّا الجد (سليمان) وحفيده (مكروب) المنقذ العبقري الشرير ، فكانا يحتفلان منتشين بفرحة النصر وهما يسمعان صراخ رجال القرية ، وبكاء الأولاد ، ونوح الأمهات ، فالجد شفى بعضاً من غلّه المحقون ضد رجال القرية الذين لم يؤازروه



ساعة مقتل ولده، والصغير تشقى من الطلاب الذين كانوا  
يسخرون منه وينعتونه بألقاب قبيحة. ثم ترك الجد (سليمان)  
حفيده (ميكروب)، يتابع مغامراته العدوانية الخاصة وحده،  
مع أصدقائه من أهل القرية في بقية أيامه القادمة.



ويوماً بعد يوم من زرع الجدِّ الحقدَ والنقمةَ في قلب  
الولد البريء (ميكروب)، اشتدَّ العودُ الفتنيُّ، ونمتْ أغصان  
الشرِّ لديه وتفرّعت، وأصبح له مغامرات خاصة به، واستقلَّ  
عن جده الذي فترت عزيمة في ممارسة الانتقام، وفتح  
الطريق أمام تلميذه النجيب، وكان الجدُّ يتمنى في نفسه ألا  
يترك الحفيدُ الشرَّ، ويبقى مستمراً في القيام بالأعمال  
الشيطانية، وأذية أهل القرية عامة بمن فيهم أقرب المقربين  
له صديقه العزيز (بندر)، أحد هؤلاء الضحايا الأبرياء الذين  
اصطادهم التلميذ الشرير بشباكه العنكبوتية.

كان ابن الجيران (بندر) يكبر (ميكروب) بعامين، وعلى  
الرغم من أنه بدين قصير ساذج طيب القلب كان يتقن لعبة  
الدُّحَل المعروفة بالعامية باسم (الكلال)، وهي لعبة منتشرة  
بكثرة بين أولاد أهل القرية، فقد كان (بندر) يأتي بالهدف من  
بُعدِ ثلاثة أمتار، ولا تفوته رمية واحدة، فكان يهزم الجميع،

وتتملئ جيوبه وأكفّه بها، حتى لا يعود قادراً على استيعابها كلها، أما (ميكروب) الصغير فلم يكن يُتقن هذه اللعبة، ويخرج منها دائماً خاسراً فارغ اليدين والجيب، ولم يكن أمامه غير طريقة واحدة لحفظ ماء وجهه أمام أبناء القرية، وهي أن يعرض على (بندر) أن يشاركه ويتعاوناً معاً؛ (ميكروب) الداهية يحمل الدُّحل ويتفاوض على الرهان مع اللاعبين، و(بندر) يلعب ويربح بمهارته وخبرته الكبيرة في اللعب، وبهذا الاتحاد الثنائي: (ميكروب - بندر) يتمكّن (ميكروب) من تعويض نقصه وإخفاقاته المتعددة التي مُني بها في اللعبة أمام خصومه.

وافق الطيّب (بندر) على اقتراح النابغة (ميكروب)، ومع الأيام، ونتيجة الربح المتواصل للماهر (بندر)، والتخطيط والإدارة الجيدة للداهية (ميكروب) تراكمت كمية تلك الكرات الزجاجية لدى الشريكين، فطمع اللص الصغير فيها، وراودته

فكرة خبيثة شيطانية للاستيلاء عليها بمفرده، فقال لصديقه  
(بندر):

\_ انظر، لقد أصبح عددُ دُحولنا كبيراً جداً، وأخاف  
عليها أن تُسرق، أو أن تصيبنا عين حاسدة تُخسرنا إياها.

\_ نعم، لاحظتُ هذا، فما رأيك أن نبيع قسماً منها؟

\_ لا، لدي خطة أفضل.

\_ ما الخطة؟

\_ انتظر لحظة.

ذهب (ميكروب) إلى الداخل، وترك الساذج في فناء  
الدار الخلفي، ثم عاد بعد قليل، ومعه قَدومٌ صغير حاد جداً،  
ثم اتجه خلف الدار، وقال لصديقه:

\_ اتبعني.

\_ إلى أين؟ وماذا تنوي أن تفعل؟

\_ لا تقلق، الأمور ستكون على ما يرام.

وصل (ميكروب) إلى منطقة وسطى بين بيته وبيت  
جاره (بندر)، ثم حفر في الأرض الطينية الرخوة حفرة عميقة،  
قائلاً للمغفل (بندر):

\_ باتت الحفرة جاهزة لنضع الدحول فيها.

سأله الطيبُ ذو الغباء المستفعل:

\_ ألا يمكن أن تختلط الكرات مع التراب، ويضيع بعض

منها؟

\_ لا عليك، هناك حلّ سهل.

هرع اللصُّ المدمر راكضاً إلى داخل بيته، ولم يغب  
كثيراً، وعاد يحمل بيده علبة سمن حيوانية فارغة، ذات سعة  
أربعة لترات، وقال لصديقه:

\_ هيا، أفرغ الدحول في هذه العلبة، وأبقِ معك عدداً

قليلاً منها، لتلعب بها مع المتنافسين.

نقذ الصديقُ المستسلم الأوامرَ، وأفرغ معظم الكرات

حتى كادتِ العلبة تمتلئ، وأحكما الغطاء جيداً، ثم وضعها

في الحفرة، وقاما معاً بردم التراب فوقها، ثم جلبَ (ميكروب) حجراً متوسط الحجم، ووضعه فوقها، كشاهدة قبور الأموات، لتبقى علامة استدلال على موقع الحفرة من الضياع، واتّجه نحو شريكه وسأله:

\_ ما رأيك بهذه الفكرة؟ أليست مناسبة لحفظ دحولنا؟

\_ بلى بلى، وكلما ربحنا المزيد، نخفيه في هذه الحفرة.

\_ تماماً يا صديقي.

وقاما من بعدها، يتعانقان ويتصافحان بحرارة، من شدة فرحة النجاح، ثم ودّعا بعضهما، وذهب كُلُّ منهما إلى بيته مطمئناً على الكرات الزجاجية المطمورة، من السرقة والضياع، لكنّ الملعون الصغير كان أشدَّ سروراً؛ لأن خطته قد نجحت، وستأتي بثمارها الطيبة قريباً.

وفعلاً، بعد ثلاثة أيام ربحا أكثر من مئة كرة زجاجية، فاتّجها إلى المستودع السريّ، وتلفّتا يمناً ويسرة خشية أن يراها أحدٌ، ورفعوا الحجرة وحفرا الحفرة ذاتها، وأضافا ما

كسبا إلى العلبة حتى امتلأت بالكامل، ثم أخفياها بالطريقة ذاتها، وافترقا.

ولمّا حلّ الليلُ وهدأتِ الحركةُ، اتّجه اللصّ المخادع نحو المخبأ، وأخرج العلبة الممتلئة منه، وردم الحفرة ووضع الحجر فوقها، وعاد مسرعاً إلى البيت وأخفاها داخله، وأوى إلى فراشه مسروراً لنجاح خطته وامتلاكه عدداً كبيراً من الدحول.

وفي اليوم التالي قابلَ شريكه بثبات وهدوء أعصاب، وكأنّ شيئاً لم يكن، وحينما تجمّع لديهما عدد آخر من الدحول، انطلقا نحو المخبأ، وبادرَ (ميكروب) بالحفر بكلّ ثقةٍ، وراح يحفر ويحفر، وينظر باستغراب في وجه شريكه المذهول من عدم وجود العلبة، فسأل المُجرمُ صديقَه:

\_ غريب!! أين اختفت العلبة؟

\_ هل يا ترى غيّرَ أحدٌ ما مكانَ الحجر؟



\_ لا أعتقد، لأنني أحفظ تماماً مكانها، ومن الواضح  
أن التراب تحتها طريّ.

\_ إذا أين اختفت ولم يرنا أحدٌ نظمرها؟

ردّ عليه (ميكروب) متظاهراً بالصدمة والخيبة:

\_ يمكن أن تكونَ شياطينُ الأرض قد أخذتها، من أجل

أن تُلعبَ بها شياطينها الصغار.

\_ ربّما، فقد سمعتُ أن الشياطين تعيش تحت الأرض.

\_ ألم ترني يا صديقي، عندما كنا نخسر في بعض

الأحيان، كنتُ أبصق على الثرى، وأقول: "تفو عليك يا

شياطان"؟

\_ بلى.

وهكذا انطلت الحيلة الماكرة على (بندر) الأبله، وبعد

أيام راح (ميكروب) يبيع سرّاً أولادَ القرية محتوياتِ اللعبة،

من دون علم شريكه، ويجني أرباحاً كبيرة.

وفي بداية العام الدراسي الجديد، وصلت إلى ساحة المدرسة سيارة شحنٍ مغلقة تقلُّ عدداً من الطاولات والكراسي الخشبية الجديدة، يقودها سائق بدين، وعندما انتهى من إفراغ حمولته، سأل المديرَ عن الطالب (ميكروب)، فأخبره أنه فُصل من المدرسة، فاستعان بأحد أصدقائه السابقين في المدرسة ليرشده إلى بيته، فرافقه الطالبُ ودلّه على المنزل، وحينما وصلا شكر السائقُ الطالبَ الذي نزل وطرق باب الجدِّ، ففتح (ميكروب) الباب، فأشار الطالب بيده إلى سائق الشاحنة وانصرف.

اتَّجه (ميكروب) نحو الشاحنة ليستطلع الأمر، فرحَّب به السائق، وأخبره أنه ابن خالته، وقد أبلغته أمّه حينما علمت بحمولته إلى قرية (تل الضجيج) أن يطمئنَّ على حال ابن أختها، وأن يصطحبه معه إن أمكن لتراه، فراقت الفكرة للصغير المغامر (ميكروب) للهرب من عالمه المقيت في هذه القرية واستكشاف عوالم جديدة. فطلب إليه أن يستأذن جدّه

ليأخذه معه، فأبلغه (ميكروب) أن الجدّ خارج البيت ولن يعود إلا في وقت متأخر، وبأنه لا يمانع في ذهابه.

ركب الصغيرُ الشاحنةَ المغلقةَ ظهر هذا اليوم، فانطلقت بهما مودعة قرية (تل الضجيج) وأهلها ليستريح أبنائها قليلاً من أفعال (ميكروب) الشريرة والعدوانية بحقهم.

راح (ميكروب) ينظر من النافذة نحو بيوت القرية، فأحسّ بشيء من اللوعة والحزن لفراقها، في حين أدار السائق مذياع الشاحنة على القناة الإذاعية، فسمع صوت مذيع يعلن بلاغاً رسمياً تحذّر فيه السلطات الأهالي من خطر حجر أسود كبير غريب الملامح، قد سقط من السماء بالقرب من الطريق الدولي (إم فور)، فسأل الصغيرُ ابنَ خالته عن هذا الطريق، فقال له السائق البدين بلؤم وخبت:

\_ سنمرّ بجانبه في طريقنا.

\_ ليتني أرى هذا الحجر الأسود.

\_ من الواضح أنك مغامر وجريء أيها الشقي

(ميكروب)!

نظر الصغيرُ في وجه ابن خالته وابتسمَ ابتسامة

عريضة تؤكِّد ظنَّ الغريب فيه، وقال له:

\_ ليس كثيراً يا بن خالتي.

تابعتِ الشاحنة رحلتها، ومع غروب الشمس وصل  
(ميكروب) مع ابن خالته الغريب البدين إلى الطريق الدولي  
(إم فور)، وتوقفاً قليلاً في استراحة، وتناولوا طعام العشاء،  
وتابعا الرحلة، ثم التفتَ السائق نحو (ميكروب) وخاطبه  
قائلاً:

\_ اقتربنا كثيراً من مكان سقوط الحجر الأسود، أما زلت  
راغباً في رؤيته؟

\_ أجل.. أجل.

\_ إذاً استيقظ جيداً؛ فإنني أرى علامات النعاس بادية  
في وجهك.

\_ لا لا، إنني في شوق لرؤيته، يا ترى كيف شكلك...

لم يكمل الصغير (ميكروب) كلامه بعد، حتى أحسَّ بقوة  
جذب شديدة تشده من النافذة المفتوحة نحو الحجر الأسود،  
فأوقف البدين شاحنته في لمح البصر، وأمسك ابن خالته

بكلتا يديه من معصمه وراح يجره نحو الداخل، ولكنّ قوّة  
الجذب كانت عنيفةً، حتّى أحسّ أنه سيخلع ذراعَ (ميكروب)  
من كتفه إن بقي ممسكاً به، فأفلته مجبراً خوفاً عليه من  
التمزق، وفي لحظة واحدة ابتلع الحجر الأسود (ميكروب)،  
وامتصّه كما يمتصّ اللون الأسود جميع الألوان عند المزج  
معها، ربما تلك القلادة المعلقة في عنقه، كانت السبب في  
سحبه واختفائه بهذا الشكل القسري، لقد اتحد الظلامان،  
ظلام الداخل مع الخارج، وخيم الصمت على كل الوجود.  
ولمّا تأخّر الوقت. ظلت الشاحنة ساكنة في مكانها، ومن  
شدة التعب والسفر الطويل، حيثُ ناما هناك ولم يشغرا  
بشيء.

ها هو (ميكروب صالح) يسبحُ في عالم شديد الظلام،  
يتقدم ببطء وحذر، تواجهه لافتة كبيرة كُتِبَ عليها بخط  
عريض: "أهلاً بكم في مدينة عودة الموتى"، ومن تحتها بخطّ  
منمّق وبحروف صغيرة: "حقّقوا رغباتكم وأمانكم، وكل  
الأشياء التي فشلتُم في تحقيقها سابقاً"، كانت أشياء  
المدينة، ابتداءً من الناس، والنباتات، والبنائيات، والسيارات،  
والحدائق، والحيوانات، وحتى المدارس... كل شيء فيها كان  
من الأشباح لا روح فيها، مجرد صورة باهتة تظهر وتختفي  
بفعل قوّة قانون طبيعي، وعمرِك في ذلك العالم محدود ثابت،  
والشيء الإيجابي فيه أنّك تختار حقبة زمنية من عمرِك  
لتحقّق فيها ما تحبّ، فتعود ثانيةً مع الروح والجسد، على  
هيئتِك التي كُنْتَ عليها من قبل.

وها هو ذا الطالب (صالح) في المدرسة التي تقع في  
القسم الشرقي من المدينة، وها هو ذا الأستاذ (أحمد) ينهي

للتوّ شرحٍ أوّلِ درسٍ في مادة الرياضيات، وكان الدرس متعلّقاً  
بمعلومات عامة، وكعادته شرع في طرح الأسئلة على  
التلاميذ، فكان السؤال الأول:

\_ ما جذر الرقم أربعة؟

رفع التلميذ (صالح) يده عالياً، وصاح بأعلى صوته:

\_ أنا أجيب.

\_ تفضّل يا بُنيّ.

\_ جذر الرقم أربعة هو اثنان.

\_ أحسنتَ يا (صالح). صفقة ثلاثية لزميلكم.

ودوت ضجّة هائلة وقوية، من كفوف الطلاب الذين

صقّقوا بحماسة وفرح إكراماً لصديقهم التلميذ الذكي المتميز

في مادّة الرياضيات. وجاء الشقّ الثاني من السؤال في

المادة نفسها:

\_ هل للعدد (صفر) قيمةً عددية؟



لم يرفع أحدٌ من التلاميذ يده للإجابة، فرفع الطالبُ  
(صالح) يده ثانيةً بأدب، وقال:

\_ أسمحُ لي بالإجابة أستاذي الغالي؟

ردَّ عليه الأستاذ (أحمد) باحترام شديد:

\_ تفضّل أيّها الطالبُ النجيبُ.

\_ الصفر رقم ذو حدّين، ويأخذ قيمته بحسب موضعه.

\_ وضح لنا ما تقول.

\_ يُصبح للصفر قيمةٌ عديدةٌ إذا وُضع على يمين أي

رقم، ويفقد قيمته إذا وُضع على يسار الرقم.

\_ أحسنت.

ودوت من حناجر التلاميذ جميعاً هتافات تشجيعية

وحماسية تنادي: (ويكي... ويكي... ويكي).

اعتاد الأستاذ (أحمد) أن يقدم في نهاية كلّ درس

مكافأة تشجيعية للطالب المتفوق، وكانت مكافأة هذه الحصّة

قلماً أزرقَ فاخراً جداً من نوع باركر إلى الطالب النجيب  
(ويكي).

وبعد استراحةٍ قصيرة، انتقل الأستاذ إلى مادة اللغة  
العربية، وشرح كالعادة الدرسَ بإسهاب وتفصيل، حتى فهم  
الجميع، وبعد أن انتهى من شرح الدرس، حان وقت طرح  
الأسئلة، وكانت العلامات تُحسب على هذه الأسئلة الشفوية،  
فكانت المشاركة عامّة هذه المرة من جميع الطلاب، فالكل  
تقريباً قد أجابوا، ولكنّ التلميذَ (صالحاً) كان الأوفرَ من بينهم  
حظاً في الصف، طلب الأستاذ من الطالب المتفوق أن يكتب  
اسمه الثلاثي على لوحة الشرف التي يُدوّن فيها أسماء  
المنفوقين، فخرج من مقعده الأول، متوجّهاً إلى لوحة  
الحائط، وكتب مدوّنًا عليها:

\_ (ميكروب صالح ويكي).

\_ ممتاز، أحسنت وإلى الأمام، وفقك الله يا بطل.

وفي هذه الحصة أيضاً حصل (صالح) على مكافأة أخرى من أستاذه الذي كان يُحبّه كثيراً، بسبب تميّزه واجتهاده بجميع مواد المنهاج، وكانت المكافأة دفترًا أبيض من نوع جيد.

وذاع صيته في المدرسة، وبات أشهر من نار على علم، بسبب تفوّقه في مادّتي الرياضيات واللغة العربية، وتحوّل الطالب (صالح ويكي) في المدرسة الجديدة، إلى موسوعة ضخمة من المعلومات الثقافية والعلمية، فكان معظم طلاب المدرسة يلجؤون إليه عندما تستعصي عليهم معلومة، وكان يجيبهم بمحبّة وتواضع، وكان هذا الطالب النشيط يقضي مُعظم أوقات فراغه في البحث العلمي، فبعد الانتهاء من حلّ وظائفه وأداء واجباته المدرسية المكلف بها، يتّجه للبحث على المحرك (google) المتوافر بخدمته شبه المجانية، في ذلك العالم الغارق بالظلام الذي انتقل إليه الآن، لاكتساب معلومات إضافية، منها ما يتعلّق بدروسه

المدرسية، وبعضها معلومات ثقافية عامّة، وكان سبب تفوقه وتميزه هو عدم إهدار جُل وقته في ممارسة الألعاب والبرامج الفارغة التي تُبعثر الوقت الثمين، ومستقبله المُشرق.

وتابع الطالب (صالح) تفوّقه وتميّزه في كلّ من مادة التاريخ والجغرافية الطبيعية، والتربية الدينية، والعلوم، وكان هو الأول دائماً، فأصبح عريفاً للصف، لأنه كان يمتلك جميع المؤهلات، أضف إليها حُسن سلوكه وأخلاقه العالية، فلم يكن هناك طالبٌ واحد في الصف، ينافس على تولّي منصب عريف الصف، وكان الأول بلا منازع في حصد الجوائز والمكافآت المادية من الأستاذ (أحمد)، كما اختارته إدارة المدرسة ليكون رائداً في المسابقات والنشاطات الثقافية التي كانت تجري على مستوى اختبارات القطر، وكان يحصد جائزة تلو الأخرى للمدرسة الجديدة التي ينتمي إليها، ومن بعد كل عودة من تحقيق الانتصارات في الاختبارات، كانت تزداد محبته ومكانته في قلوب الجميع، وكان ينسب الفضل إلى

أستاذه الذي زرع في نفسه حبّ العلم والسعي في تحصيله،  
وكان يعدّه أباً روحياً له، لا يمكنه الاستغناء عنه.

كانت الساعات تمضي سريعة في عالم الرغبات  
والأمنيات، وكان (صالح ويكي) ينتقل من نجاح إلى آخر، في  
ذلك الجزء من الحياة الغارقة في السواد، حيث لا شمس، ولا  
رياح، ولا أمطار تهطل هناك.

وحينما حان موعد حصّة التربية البدنية، طلب الأستاذ  
(أحمد) من طلابه تشكيل صندوق بشري ناقص الضلع،  
وأوقف الطالب (صالحاً) في منتصفه، وبدأ يثني على  
نجاحاته وفوزه بجميع الألعاب الرياضية التي يمارسها  
الطلاب في المدرسة، بدءاً من كرة القدم ومروراً بكرة السلة  
فكرة الطائرة، وانتهاءً بألعاب القوى، ثمّ تقدّم نحوه ووضع  
ميدالية التفوق في رقبته، وبدأ التصفيق الحارّ والتهنئات  
المختلفة باسم (صالح ويكي)، وبعدها طلب أن ينعت كلُّ

طالب زميله بصفة من الصفات اللائقة به، فتقدّمتِ الطالبة  
الوسيمة (ليلى)، وقالت:

\_ (صالح ويكي) يا دكتور المستقبل.

ثم تراجعت في الحال، وأفسحت المجال أمام الطالبة  
(براءة) الطيبة، وقالت في جملتها المدحية:

\_ (ويكي) مهذب ومجتهد.

وعندما تقدمت الزلزال (عبير)، غاب عن الوجود، كان  
صالح يسمع وجيب قلبه واضحاً، فتاة جذابة، قوامها رشيق،  
ورائحة عبيرها تعبق المكان، وهي تتقدم نحوه بغنج ودلال، لا  
حيلة له أن يذوب في رحيق حبها، حب حياته الأول، وكانت  
(عبير) أيضاً تحبه بشغف وجنون، وكان (ويكي) يتخيل أن  
صديقته (عبير) ستكون هي زوجته المستقبلية، وقد اغتبط  
لرؤيتها، وهي تواجهه وجهاً لوجه، يريد أن يأكلها كقطعة  
شوكولاتة، يلتهمها كثمره منجا طازجة مع قشرها، حاول أن

يتماسك لأنه كاد أن ينهار ويقع أرضاً مغشياً عليه، قائلاً  
لنفسه:

\_ ربي وضعت نصف جمال البشرية فيها، والنصف  
الآخر وزعته على سبعة مليارات من البشر الموجودين على  
الكرة الأرضية.

وخرج من شرود ذهنه المتواصل، عندما قالت له  
(عبير):

\_ (ويكي) عبقرى فذّ.

وبعد أن انتهى دور الطالبات، أتى دور الطلاب بإلقاء  
كلمات الثناء والمدح بحق التلميذ (صالح) المتفوق، فأدلى  
كلّ بدلوه بعبارات جميلة محفزة، ثمّ علّق الأستاذ (أحمد)  
ووضح رأيه في تلميذه النجيب، وأشار إلى أنه إذا ما استمرّ  
على هذا المنوال فسينال الشهادات العليا في المستقبل  
القريب، وسيفتخر به أهل قرية (تل الضجيج) أجمعهم.

وبعد انتهاء دوام المدرسة، ظلّ (صالح ويكي) في  
المدينة الجديدة بالقسم الشرقي، وتوجّه مباشرة إلى منزله  
ليمارس حياته اليومية مع جدّه الحبيب.



كان (ميكروب صالح ويكي)، في تلك المدينة يعيش  
يتيماً في كنف جدّه (سليمان)، مدفوعاً بشغف شديد إلى  
مساعدة الناس الذين كانوا بحاجة إليه، وفي تلك الليلة، وجد  
أرنبين فرنسيين ضخمين ذوّي فراء أبيض وعيون حمراء، كانا  
تأهين في زقاق ضيق، التفّ مناوراً من حولهما، ثم احتضن  
الأول وجاء به إلى جدّه (سليمان) في المنزل، ثم ذهب  
وأحضر الثاني، وقد آواهما عنده حتى الصباح، خوفاً من  
الثعالب المنتشرة بكثرة هناك، وكانت تهاجم الدجاج أيضاً،  
وفي الصباح الباكر قال الجدّ لحفيده:

\_ بني العزيز.

\_ نعم يا جدي الجليل.

\_ أريد منك، أن تطوف الآن على جميع بيوت الجيران

المجاورة، من أجل معرفة أصحابها.

ردّ (صالح) فاعل الخير:

\_ وإذا لم يكونا للجيران القريين.

أجابه الجدّ بـجلم:

\_ عليك أن توسّع دائرة البحث.

\_ بكلّ سرور.

وحمل الأرنبين معاً، ودار بهما على الجيران، وبعد  
مُضي ساعة أو أكثر اهتدى إلى صاحبهما، وسلّمه إياهما  
فشكره شكراً كبيراً، وقبّله من جبينه، وأهداه لعبة صغيرة  
تشجيعاً له على أمانته، ثمّ قفل عائداً فوراً إلى جدّه وقال له  
فرحاً:

\_ تعرّفت إلى مالكيها وسلّمته الأمانة.

\_ بارك الله فيك أيها الولد النبيل.

وإثر هذه الحادثة الفريدة، أشادَ الجارُ صاحبُ الأرنبين  
بأخلاق الصبّي (صالح) على مرأى من رجال القرية وأبنائها،  
فأصبح هذا الصبّي موضعَ فخر واعتزاز بينهم. كما انضمّ  
الولد وجدّه إلى جمعية تطوعية تسعى إلى عمل الخير

والإحسان، وباتا عَمَيْنِ بارزين من أعلام القرية، الكلَّ  
يجلّهما، ويدعوهما إلى زيارته.

وعندما جاء ثعلبُ يفتكُ بالدجاج وبيوضها في القرية،  
تطوع الاثنان في مراقبته؛ إذ اقترح (صالح) على جده  
(سليمان) أن يحرسا القرية ليلاً. فأَيده الجدُّ، وخرجا معاً في  
تلك الليلة، وقد حملَ الجدُّ بندقية صيد من نوعية الخُردق،  
وتزوذا ببيل يعمل على بطاريات متوسطة الحجم، وبعد عدّة  
جولات سريعة في القرية عثرا على الثعلب المخادع، فأطلقَ  
الجدُّ رصاصة استقرت في أحشاء الثعلب وأردته قتيلاً. وفي  
الصباح انتشر الخبر بين الأهالي، وعرفه الصغير قبل  
الكبير، فأصبحا مضرب المثل في الشجاعة والإقدام والشهامة  
والنخوة في أداء الخدمات المجانية من دون مقابل.

وذات مرة شارك (صالح) المُحسن صديقه (بندر) اللعب  
بالكرات الزجاجية الملونة، وكان يعاونه من دون أن يأخذ  
منه شيئاً، وكان (بندر) ماهراً في تلك اللعبة، يربح على

منافسيه كل يوم، وكان (ويكي) يحملها له، وكان يرافقه بعد انتهاء اللعب إلى أن يصل إلى البيت، وحينما يلح عليه صديقه ليأخذ جزءاً منها كان يرفض بشدة، ويقول له: يكفيني أن أحظى بصدقتك والاستمتاع بمراقبتك وأنت تلعب وتكسب. فتعمقت جذور الصداقة بينهما، وباتا صديقين حميمين.

وعندما قرّر (صالح ويكي) أن يزور القسم الغربي من المدينة الجديدة، وجد لافتةً كُتِبَ عليها: "أهلاً بك في مدينة الموتى الأبدية. احذر اللمس". كان سكان هذه المدينة من الأشباح، كانوا صوراً فقط لا روح فيها، صور أشباح تظهر له وتختفي فجأة.

وأول من التقى به في هذا القسم هما أبواه، كانا في قافلة شهداء الحب، رأهما متعانقين معاً سعيدين، فتمنى أن يحتضنهما ويقبل يديهما، فقد عاش يتيماً يفتقد حنانهما.

ثم تقدّم إلى الأمام فرأى جدته (خولة) التي ماتت إثر مرضٍ غُضال أصابها مؤخراً، كم كان مشتاقاً إلى قصصها

التي كانت تسردها له وهو صغير، وإلى أن يرمي نفسه في صدرها الحنون، ويغمرها بالقبلات الحارة، كان يحسّ بمدى الألم الذي يعتصره، لعدم تمكنه من لمسها.

وعندما غاص أكثر في ذلك المكان، رأى أعداداً ضخمة من الأموات يتقدمون نحوه، ولكنهم اختفوا فجأة بحلول أولى خيوط الشمس الذهبية، وقد اختتم (ميكروب) العائد من مدينة الموتى جولته الأخيرة بالانسحاب السريع من هناك، ليعود إلى عالمه الذي جاء منه قبل عدّة ساعات، أمضاها هنا في مدينة عودة الموتى الجزئي.

كان (ميكروب صالح ويكي)، متكوراً على نفسه من برد الليل، نائماً على مقعد سيارة ابن خالته، ولما فتح عينيه الذابلتين، وجد ابن خالته يقود سيارته وهو يدمدم مع موال (صباح فخري): "قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعب...". فالتفت إليه ابن الخالة وقال له:

\_ قل للحجر الأسود ماذا فعلت بصبي مشرد.

ففتح الصبي عينيه جيداً وغمرته أولى أشعة الشمس، وتمنى لو أنه لم يستيقظ؛ إذ اتضح له أنه كان غارقاً في نومه، وأن زيارته إلى عالم الموتى، وأرض الرغبات والأحلام والأمنيات ما هي إلا حلم من أحلام العاجزين عن بلوغ شيء، فيعوضونه بالمنام، فهذه فرصته في النجاة والخلاص من عالمه الأسود المليء بالشرّ والقتل والأذى والانتقام والضعف والفشل، فرصته ليكون مجتهداً وطيباً وخيراً مع الناس الذين يعيشون من حوله، إنها فرصة ذهبية قد لا تعوض أبداً،

وبانتهاؤها يعود الفرد إلى واقعه وحياته الأصلية، ولكن ما تزال أمامه الفرصة الكافية لتصحيح أخطائه، وتقويم شخصيته المضطربة، وما قام به من أفعال وأعمال شريرة بحق الآخرين، إنه ذاهب إلى عالم جديد حيث تنتظره خالته، فلماذا لا يبدأ حياة نقيّة جديدة يعمّها الخير والنفع والحبّ والتعاون...

فالنوم موت مؤقت، وهذا الحلم وخزة موجعة له ليصحو ويتأمّل ما هو عليه في مقتبل العمر، وتنبيه له لينقلب من عمل الشرّ إلى عمل الخير، فالقسم الشرقي من مدينة عودة الموتى الجزئي هو رمز إلى إمكانية التغيير؛ إذ أمام المرء فسحة ليصلح أخطاءه، أمّا القسم الغربي من مدينة الموتى الأبدية، فهو مؤشّر إلى أنّ هؤلاء الأشخاص هم أموات حقيقيون، ليسوا إلا وهماء وسراباً في عقولنا، ولا يمكن أن يعودوا أبداً إلى الحياة الواقعية ثانية، وليس بمكنتهم إصلاح

ما فسد فيهم من أخلاق وقيم ومبادئ وسلوكٍ، هؤلاء فقدوا  
الأمل النهائي في الإصلاح، لأنهم فقدوا الروح.

نظر (صالح) إلى وجهه في مرآة السيارة وقال:

\_ نعم يا (صالح) آن الأوان لتكون صالحاً محبباً للخير  
ساعياً إلى فعله... آن الأوان لينسى الجميع اسمك الوضيع  
(ميكروب)... آن الأوان لتكون مثلاً يُحتذى في الفضيلة...  
شكراً لك أيها الحجر الأسود؛ لأنك أيقظتني لأودع عالمي  
الأسود، وأعيش حياة كلها نور وصفاء ونقاء.

تمت ١٤ / ٢ / ٢٠٢٣ م جنكو تمو





# جُنُكُو تَمُو

روائيّ سوريّ

من مواليد القامشلي ١٩٧٢م

له خمس روايات سابقة:



((الصّرة الرّماديّة)) - ((الرّواية المسروقة)) - ((آلة الشيطان))

((المغامر العاشق)) - ((كليفييس))

## ميكروب

العائث من مدينة الموتى

تحكّي هذه الرواية قصة طفل يتيم عاش في كنف جدّه الغاضب لمقتل ولده، ولعدم نجدة أهل القرية له، فربى حفيده ميكروب تربية فاسدة وعلمه فنون الاحتيال والانتقام. وفضلا عن ذلك واجه الطفل معاناة في مدرسته ومعيطه، فنشأ شريبا، ولكن بذرة الخير في داخله جعلته يحلم بحياة يسودها المحبة والتعاون والخير.